المصطفى
من
أحاديث المصطفى

تأليف
راشد مصطفى الخليلي

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا جزين
00961 7 230841 - 07 230195
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
هـ 1437 - 2016

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد سيدنا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسانٍ إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالكتاب في الآيتين الشريفتين هو القرآن الكريم، والحكمة هي السنة النبوية المطهرة، هذه السنة التي قال عنها النبي ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: «عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموه، وإنَّ ما حرَّم رسول اللَّه مثل ما حرَّم اللَّه**»[(١)].

وفي حديثٍ آخر له ﷺ يقول: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب اللَّه وسنَّة رسوله ﷺ**»[(٢)]. وصدق رسول اللَّه ﷺ الذي أمرنا اللَّه عزَّ وجلَّ بالتمسك بأمره واجتناب نهيه بقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. وبقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وبعد... فهذه أضواء على أربعين حديثاً من أحاديث المصطفى ﷺ، اخترتها لما وجدت فيها من فوائد عظيمة تهم الناس اليوم، وأخصُّ بالذكر منهم أهل الصحوة الإسلامية ـ بارك اللَّه فيها ـ، وقد وضعت لها بعضاً من التعليقات

(١) رواه الإمامان أحمد بن حنبل وأبو داود.
(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ».

والتنبيهات والإشارات التي أسأل اللَّه تعالى أن ينفعني والمسلمين بها، ولم أدخل في التفصيلات الفقهية ولا الشروحات المطولة حتى لا يملَّ القارئ.

واللَّه أسأل التوفيق والسداد، وله الحمد والنعمة.

صيدا في ١ ـ ١ ـ ١٤٢٩هـ.

٩ ـ ١ ـ ٢٠٠٨م.

راشد مصطفى الخليلي

الحديث الأول

حسن الظن باللَّه

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيامٍ يقول: «**لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ باللَّه عزّ وجلّ**».

رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

يوصينا رسول اللَّه ﷺ بأن لا نفارق الدنيا إلا ونحن نحسن الظنّ باللَّه تعالى، ففي الحديث القدسي يروي لنا أبو هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول اللَّه تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[1].

فالخير كلُّ الخير في حسن الظنّ باللَّه، والشرّ كلُّ الشر فيمن قطع رجاءه من فضل اللَّه تعالى فقد ذمّه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

والأخبار في فضل الرجاء قد كثرت، كما كثرت الأخبار في فضل الخوف، وهما دواءان تداوى بهما القلوب، وأكثر الخلقِ الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لغلبة المعاصي، وأما التقي النقي فالأصلح له أن يعتدل خوفه ورجاؤه.

ولذلك قال عمر رضي اللَّه عنه: لو نُودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل. وقد أثنى اللَّه تعالى على من جمع بين الخوف والرجاء فقال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. وقال أيضاً: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وغلبة الخوف هو الأصلح قبل الإشراف على الموت في هذه الحياة الدنيا، وللرسول ﷺ مواقف نراه فيها خائفاً على أمته من عذاب اللَّه فقد روت السيدة

---

(١) رواه البخاري.

عائشة رضي اللَّه عنها: «**أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا تغيّر الهواء وهبّت الريح عاصفة يتغيّر وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفاً من عذاب اللَّه**»[١]. **وسأل النبي ﷺ جبريل عليه السلام: «ما لي لا أرى ميكائيل يضحك؟ فقال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار**»[٢].

أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن، ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً للَّه تعالى ليكون محباً للقاء اللَّه تعالى، فإن من أحب لقاء اللَّه أحب اللَّه لقاءه. لذا قال المصطفى ﷺ: «**لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن باللَّه**». والأحاديث في هذا المعنى كثيرة نذكر منها:

أ ـ عن أنسٍ رضي اللَّه تعالى عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ قال: أرجو اللَّه يا رسول اللَّه، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه اللَّه ما يرجو، وأمنه مما يخاف**»[٣].

ب ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**حسن الظن من حسن العبادة**»[٤].

ج ـ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: «**والذي لا إله غيره لا يحسن عبد الظن باللَّه إلا أعطاه ظنه، وذلك أن الخير بيده**»[٥].

ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه: يا بني حدِّثني بالرّخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى اللَّه على حسن الظن به. وقال أحمد بن حنبل رضي اللَّه عنه لابنه عند الموت: اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن، والمقصود من ذلك كله أن يحبب اللَّه تعالى إلى نفسه. نسأل اللَّه سبحانه وتعالى أن يرزقنا حسن الظن به وأن يحسن ختامنا.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه أحمد بن حنبل.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه أبو داود وابن حبان.
(٥) رواه الطبراني موقوفاً.

الحديث الثاني

أكبر الكبائر

عن أبي بكرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**»؟ قلنا: بلى يا رسول اللَّه، قال: ثلاثاً: «**الإشراك باللَّه، وعقوق الوالدين**» وكان متكئاً فجلس فقال: «**ألا وقولُ الزور، وشهادة الزور، ألا وقولُ الزور، وشهادة الزور**». فما زال يقولها حتى قلتُ: لا يسكت.

رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

الذنوب درجات متفاوتة، فالفاحش منها هو الكبيرة، وما زاد فحشه فأكبر الكبائر، وما قلّ ضرره فهو الصغيرة. وكله ممنوع ارتكابه وإتيانه. ولأهمية الموضوع كرر الرسول ﷺ كلمة العرض ثلاث مرات حتى يزداد حرصهم على الفهم ويتنبهوا كما ينبغي فقالوا: بلى يا رسول اللَّه.

إن الشرك باللَّه رأس الكفر والكبائر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. وهو الجريمة الكبرى أن يجعل للَّه نداً وهو الخالق، أو أن يشكر من لا نعمة له علينا ولا فضل. وفي الحديث ان النبي ﷺ قال: «**ما أحدٌ أصبر على أذى سَمِعَهُ من اللَّه، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم**»[(١)].

وفي الحديث القدسي: قال اللَّه تعالى: «**إني والجنّ والإنس في نبإٍ عظيم، أخلُقُ ويُعبدُ غيري، وأرزقُ ويشكر غيري**»[(٢)]. والحق أن التوحيد روح الإسلام وجوهر عقيدته ومحور عباداته المنوعة، ومبدأ التوحيد يسري في تعاليمه كافة سريان الماء في النبات أو الأعصاب في البدن[(٣)].

ثم إن عقوق الوالدين، وإيذاءهما بالقول أو العمل أمر منهي عنه، بل قول أف لهما عقوق وقطيعة. قال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان والسيوطي في الجامع الصغير.
(٣) عقيدة المسلم، محمد الغزالي.

إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

لقد أثنى اللَّه تعالى على الأنبياء ببرهم لآبائهم وأمهاتهم في قوله: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۞ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۞ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٤].

فاخضع لوالديك كما يخضع العبدُ للسيد الفظّ الغليظ، وإن أغضباك فلا تنظر إليهما شذراً لأنَّ ذلك يشعر بالغضب والمخالفة. وهذه الحكم أدركها سيدنا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام في القصة التي قصها اللَّه علينا في القرآن الكريم: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وعندما يشب الولد ويبلغ مبلغ الرجال يبدأ بالشكوى من والده أو والدته فيتهمهما أو يتهم أحدهما بسوء الخلق أو العصبية، والنصيحة له أن نذكره: سوء الخلق هذا أكان موجوداً وهو في بطنها تسعة أشهر، أو كان موجوداً حين أرضعته حولين كاملين... أو كان موجوداً حين سهرت له ليلها وأجهدت نفسها في نهارها... أو كان موجوداً حين تعب عليه الوالد ليلاً نهاراً وضحّى بنفسه وصحته شفقةً على ولده وحباً به وفي الحديث: «**إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: يا ربّ أنَّى لي هذا فيقال: باستغفار ولدك لك**» فاستغفروا اللَّه لكم ولآبائكم وأمهاتكم.

أما قول الزور والباطل فَلِخَطَرِه جلس ﷺ بعد اتكائه اهتماماً بشأنه، وصدّر قوله بأداة التنبيه، وكرر الكلمة حتى شق ذلك عليه فتمنى أصحابه لو سكت شفقة عليه ورحمة به. ذلك أن التزوير كذبٌ ظلماته كثيفة، فهو لا يكتم الحق فحسب، بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل، وضرره وخطره على الأفراد في القضايا الخاصة، وضرره وخطره على الأمم والمجتمعات في القضايا العامة. ومن الخزي الواضح أن يكون بيننا من يشهدون الزور بعدما قرنه القرآن بالشرك، قال تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠]. فليحذر المسلم من شهادة الزور لمجرد الصداقة، أو نظير مبلغ من المال، أو طمع في عرضٍ من أعراض الدنيا، أو استحسانٍ عند زعيم من الزعماء، أو دفاعٍ لعصبية معينة، أو عصبية لحزب ما، فكل هذا ليس من صفات عباد الرحمنً الذين وصفهم اللَّه تعالى بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢].

الحديث الثالث

ربنا ما خلقت هذا باطلاً

سئلت السيدة عائشة رضي اللَّه عنها عن أعجب ما رأته من رسول اللَّه ﷺ فبكتْ وقالت: كلُّ أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي، فدخل في لحافي، حتى ألصق جلده بجلدي، ثم قال لي: «**يا عائشة، هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي؟**» فقلت: يا رسول اللَّه إني لأحبُّك وأحبُّ مُرادك، فقد أذنت لك، فقام إلى قربةٍ من ماء في البيت فتوضأ ولم يُكثر من صبِّ الماء، ثم قام يصلي فقرأ من القرآن، وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيتُ دموعه قد بلَّت الأرض فأتاه بلالٌ يؤذنه بصلاة الغداة، فرآه يبكي، فقال: يا رسول اللَّه، أتبكي وقد غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر؟ فقال: «**يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً**»، ثم قال: «**ما لي لا أبكي وقد أنزل اللَّه في هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾**»[1] [آل عمران: ١٩٠] الآيات، ثم قال: «**ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها**».

رواه ابن حبان وابن مردويه.

وخرج رسول اللَّه ﷺ يوماً على أصحابه وهم يتفكرون فقال: «**تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره**»[2].

إن الكون مليء بالآيات الساطعة والبراهين القاطعة على أن اللَّه سبحانه وتعالى هو الخالق القادر الحكيم العليم، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

---

(١) قال تعالى: ﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون اللَّه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربَّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ربَّنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربَّنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنَّا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربَّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد**﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٤].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٠ ـ ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾ [يس: ٣٣، ٣٤].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥ ـ ٩٩].

وقد عبر شاعر حكيم عن هذه المعاني التي فهمها وعقلها في قصيدته الصادقة فقال:

كل العجائب صنعةُ العقل الذي ... هو صنعةُ اللَّه الذي سواكا
والعقلُ ليس بمدركٍ شيئاً إذا ... ما اللَّهُ لم يكتبْ له الإدراكا
للَّه في الآفاقِ آياتٌ لعـ ... ـل أقلّها هو ما إليه هداكا
ولعل ما في النفس من آياتهِ ... عجبٌ عجاب لو ترى عيناكا

والكون مشحونٌ بأسرارٍ إذا حاولتَ تفسيراً لها أعياكا
قل للطبيب تخطَّفَتْهُ يدُ الردى يا شافيَ الأمراض من أرداكا؟
قل للمريضِ نجا وعوفي بعدما عجزتْ فنونُ الطبِّ من عافاكا؟
قل للصحيح يموت لا من علةٍ من بالمنايا، يا صحيحُ دهاكا؟
قل للبصير وكان يحذرُ حفرةً فهوى بها من ذا الذي أهواكا؟
بل سائل الأعمى خَطَا بين الزحا م بلا اصطدام من يقودُ خطاكا؟
قل للجنين يعيشُ معزولاً بلا راعٍ ومرعى: ما الذي يرعاكا؟
قل للوليد بكى وأجهشَ بالبُكا ءِ، لدى الولادةِ: ما الذي أبكاكا؟
وإذا ترى الثعبان ينفثُ سُمَّهُ فاسأله: من ذا بالسموم حشاكا؟
واسأله: كيف تعيشُ أو تحيا، وهذا السمُّ يملأُ فاكا؟
واسأل بطونَ النحلِ كيف تقاطرتْ شهداً، وقل للشهدِ: من حلَّاكا؟
بل سائل اللبن المصفَّى كان بـ ين دم وفَرْثٍ، من الذي صفاكا؟
وإذا رأيت الحيَّ يخرج من حنا يا ميِّتٍ فاسأله: ما أحياكا؟
قل للَّهواء تحسُّه الأيدي ويَخْـ فَى عن عيونِ الناسِ: من أخفاكا؟
قل للنَّبات يجفُّ بعد تعهدٍ ورعايةٍ: من بالجفاف رماكا؟
وإذا رأيتَ النّبْتَ في الصحراءِ ير بو وحدَهُ فاسأله: من أرباكا؟
وإذا رأيت البدرَ يسري ناشراً أنوارَهُ فاسأله: من أسراكا؟
واسأل شعاع الشمس يدنو وهي أبـ عدُ كلِّ شيء ما الذي أدناكا؟
قل للمريرِ من الثمَار من الذي بالمر من دون الثمار غذاكا؟
وإذا رأيت النخلَ مشقوقَ النَّوى فاسأله: من يا نخلُ شقَّ نواكا؟
وإذا رأيتَ النارَ شبَّ لهيبُها فاسأل لهِيبَ النار: من أوراكا؟
وإذا ترى الجبلَ الأشمَّ مناطحاً قمَم السحابِ فسلْهُ: من أرساكا؟
وإذا ترى صخراً تفجَّرَ بالميا هِ، فَسَلْهُ من بالماءِ شقَّ صفاكا؟
وإذا رأيتَ النهر بالعذب الزلا لِ جرى فَسَلْهُ: من الذي أَجراكا؟
وإذا رأيتَ البحرَ بالملح الأُجا ج طغى، فَسَلْهُ: من الذي أطغاكا؟
وإذا رأيتَ الليلَ يغشى داجيا فَاسْأَلْهُ: من يا ليلُ حاكَ دُجاكا؟
وإذا رأيتَ الصبح يسفِرُ ضاحياً فاسأَلْهُ من يا صبحُ صاغَ ضحاكا؟

الحديث الرابع

مضاعفة الحسنات

عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما، عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه عزّ وجلَّ قال: قال: «**إنّ اللَّه كتب الحسناتِ والسيئاتِ ثم بيّن ذلك، فمن همّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها اللَّه له عنده حسنةً كاملةً، فإن هو همّ بها وعملها كتبها اللَّه له عنده عشرَ حسناتٍ إلى سبعمائة وضِعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، ومن هم بسيئةٍ فلم يعملها كتبها اللَّه له حسنةً كاملةً، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها اللَّه له سيئةً واحدةً**». رواه البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل.

المراد من قوله ﷺ: «**إن اللَّه كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك**» أنّ اللَّه تبارك وتعالى بيَّن للناس الحسنات ودرجاتها وأجر من عمل الصالحات، كما بين لهم السيئات من الصغائر والكبائر وإثم كلٍّ منها، ليكونَ المسلمُ على بينة من أمره، لأنه مسؤول عن أعماله، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٥].

والحسنات ليست كلها بقدر واحد، ذلك أنَّ حديث النفس ليس كالهمّ في إرادة الفعل، كما أنَّ إرادة الفعل ليس كالقيام به والإقدام عليه. فحديث النفس معفو عنه لما ورد عن رسول اللَّه ﷺ في الحديث الصحيح أنه قال: «**إنّ اللَّه تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسَها ما لم يتكلموا أو يعملوا به**»[1]. وأما مضاعفة الحسنات فأقله عشرة أضعاف ولا حدّ لأكثره لقوله ﷺ: «**إلى أضعافٍ كثيرة**». وأسباب مضاعفة الحسنات كثيرة منها.

أ ـ الإخلاص الكامن في الصدور وهو ما لا يطَّلع عليه إلا عالم الغيب والشهادة، فعلى قدر نقاء السريرة، وسعة النفع تكتب الأضعاف. وفي الحديث عن

---

(١) رواه مسلم. هذا وقد استثنى العلماء من المؤاخذة بعزم القلب واستحباب المعصية كالحسد مثلاً وكتمان الشهادة وكقوله سبحانه وتعالى في سورة النور: ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة واللَّه يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ الآية ١٩.

رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»(١).

ب ـ المشقة المعنوية والمادية، فمن تصدّق بمبلغ من المال وهو يعيش كفافاً أجره أعظم ممن تصدّق بنفس المبلغ وهو من الأثرياء ما دام عمله خالصاً للَّه.

ج ـ نوع العمل، فصلاة الجماعة أعظم أجراً من صلاة الفرد كما جاء في الحديث: «**صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه خمساً وعشرين درجة**»(٢).

د ـ مكان العمل وزمانه: منه العمل في ليلة القدر بالطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣]. ومنه قوله ﷺ: «**عمرة في رمضان تعدل حجّة**»(٣).

ومنه قوله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام**»(٤) ويستنتج الشيخ محمد الغزالي من هذا الحديث ما يلي: «**حساب اللَّه لعباده يقوم على السماح والمياسرة لا على الدقة والمؤاخذة، إنه لو عاملهم بالعدالة لصرخوا مستغيثين، ولجأووا يطلبون التجاوز والرحمة... أي محاسبة هذه؟ هل يخسر بعدها أحد؟ أظن أنه ما يسقط بعدها إلا امرؤ هالك ولا خير فيه ولا يستحق كرامة!! الهمُّ بالحسنة يثبتها ويستحق عليها جزاءً وإن يفعلها، إنه خاطر شريف يحسب لصاحبه! من يدري؟ لعله يألف هذا التسامي وتثبت قدمه في طريق الخير**»(٥).

المهم أن تموت رغبة الشر في مكانها، وأن لا تتحول إلى عزيمة وتصميم، وأن تحيا رغبة الخير فتخرج إلى العلن.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد بن حنبل وأبو داود وابن ماجه.

(٣) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي وأبو داود وأحمد بن حنبل والنسائي مع اختلافٍ يسير في اللفظ.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) كنوز من السنة، محمد الغزالي، ص٨٤.

الحديث الخامس

الكيِّس من دان نفسه

عن شداد بن أوس رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتْبَعَ نفسَه هواها وتمنَّى على اللَّه الأماني**».

رواه الترمذي وأحمد والحاكم وابن ماجه.

الكيّس: العاقل المتبصر في الأمور الناظر في العواقب.

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة.

الأماني: جمع أمنية وهي ما يتخيله الإنسان فيقدر وقوعه من لذائذه وشهواته.

إن الكيِّس العاقل هو الذي يخضع نفسه لشريعة اللَّه ويحاسب نفسه على كلِّ ما تعمل، فإن كان عمله موافقاً للحق والخير حمد اللَّه تعالى واستمرَّ على ما هو عليه، وإلا فعليه التوبة والإنابة إلى اللَّه تعالى وذلك لا يكون إلا بالعمل الموافق للشريعة.

أما العاجز المقصر فهو الذي يتبع هواه وشهوته كأنه أسير شهواته يتمنى على اللَّه الأماني الكاذبة فهو يعلل نفسه بمغفرة اللَّه وعفوه ورحمته أو بالتوبة قبل الممات. ولم يدر هذا الغافل أن الموت قد يأتي بغتة وهو مشغول باللذات الفانيات! فوا عجباً لراحلٍ لم يتزود للرحلة، ولمنتقلٍ إلى قبره لم يتأهب للنُّقلة، ولمفرطٍ في أمره فلم يستشر عقله، إن وراءنا طالباً هو الموت لا بد أن يدركنا. ومما يروى أن وباءً قد حلَّ في بلدٍ فخرج منها ابنٌ لأعرابي خوفاً من الموت الذي نزل بالبلد، فذهب إلى بلدٍ آخر، وفي الطريق أوى إلى ظلِّ شجرة فلدغته أفعى فمات فقال أبوه:

راح يبغي نجوة[1] من هالك فهلك

(١) نجاة.

والـــمـــنـــايـــا[١] راصـــداتٌ لـــلـــفـــتـــى حـــيـــث ســـلـــك
كـــــلُّ شـــــيءٍ قـــــاتـــــل حـــيـــن تـــلـــقـــى أجـــلـــك

كم نعصي اللَّه ويستر؟ كم نخطئ فيجبر؟ كم للَّه علينا من النعم ونحن لا نشكر؟ خدعتنا الدنيا وخدعنا الهوى ونحن لا نسمع ولا نبصر، نطلب الإقامة في الدنيا وهي قنطرة لمن يعبر. فما ولَّدْنا فللتراب، وما بنينا فللخراب، وما جمعنا فللذهاب، وما عملنا فللحساب.

كُـلـنـا فـي غـفـلـةٍ والـمـوت يـغـدو ويـروح
سـيـصـيـر الـمـرء يـومـاً جـسـداً بـلا روح
بـيـن عـيـنـيْ كـل حـيٍّ عـلـمُ الـمـوتِ يـلـوح
نُح على نفسِك يا مسكينُ إن كنتَ تنوح
لـتـمـوتُـنَّ ولـو عـمَّـرت مـا عـمَّـر نـوح

وهنا نتذكر معاناة هارون الرشيد مع مرض الموت الذي لم يفلح معه عمل الأطباء الذين همسوا إلى أقربائه أن الرشيد في مرض الموت فعلم الرشيد بذلك فقال:

إن الـطـبـيـب بـطـبـه ودوائـه لا يـسـتـطـيـع دفـع نـحـبٍ قـد أتـى
مـا لـلـطـبـيـب يـمـوت بـالـداء الذي قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مـات الـمـداوِي والـمـداوَى والـذي جـلـب الـدوا أو بـاعـه أو اشـتـرى

وأخيراً نسأل اللَّه سبحانه وتعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ونسأله سبحانه وتعالى حسن الختام والفوز بالجنان.

(١) جمع منية أي الموت.

الحديث السادس

من وصايا المصطفى ـ ﷺ ـ رقم (١)

عن سعد بن أبي وقاص رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه أوصني وأوجز فقال له النبي ﷺ: «**عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مُودِّع، وإياك وما يُعتذر منه**».

رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي ورواه السيوطي في الجامع الصغير، هذا الحديث عبارة عن مواعظ أربع:

أ ـ الموعظة الأولى: «**عليك بالإياس مما في أيدي الناس**»، أي عليك باليأس مما في أيدي الناس.

واليأس هو القنوط: وقيل: اليأس نقيض الرجاء»[(١)]. والناس عادةً لا يحبون من ينازعهم في ما في أيديهم. وهو ما أكَّده المصطفى ﷺ عندما جاءه رجل يسأله: يا رسول اللَّه دلني على عمل إذا عملته أحبني اللَّه وأحبني الناس فقال ﷺ: «**ازهد في الدنيا يحبك اللَّه، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»[(٢)]. وسأل أعرابي أهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا: الحسن البصري. قال: بم سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم. وفي هذا المعنى نقرأ قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

لكنَّ العلماء أجازوا للمسلم أن يغبط[(٣)] أخاه واستدلوا لذلك بحديث رسول اللَّه ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللَّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه اللَّه مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»[(٤)].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ٦/ ٣١٢.

(٢) رواه الحاكم وابن ماجه والطبراني في المعجم الكبير.

(٣) الغبطة: أن تتمنى مثل حال الآخرين وليس بحسد أي من غير زوال النعمة عن الآخرين.

(٤) رواه البخاري والترمذي وابن ماجه.

ب ـ الموعظة الثانية: «**وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر**». ذلك لأن الطمع داء لا يشبع منه صاحبه، وهذا ما دلَّ عليه الحديث الشريف: «**لو أنّ لابن آدم وادياً من ذهب أحبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب اللَّه على من تاب**»(١). وداء الطمع هذا ليس له دواء إلا الرضا ـ دون تقصير في ميدان العمل ـ ومحاربة شهوات النفس، والطمع مهلك للإنسان وقد يوصله إلى الحرام. وفي القصة التالية عبرة لكل معتبر. دخل علي بن أبي طالب رضي اللَّه تعالى عنه إلى المسجد وقال لرجل كان واقفاً على باب المسجد: أمسك على بغلتي، فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة، فخرج عليٌّ وفي يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على إمساكه بغلته، فوجد البغلة من غير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشتري بهما لجاماً، فوجد الغلامُ اللجامَ في السوق قد باعه السارق بدرهمين، فقال عليٌّ رضي اللَّه عنه: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر، ولا يزداد على ما قدر له.

ج ـ الموعظة الثالثة: «**وصلِّ صلاتك وأنت مودِّع**». وفي هذا تنبيه للاستعداد دائماً للقاء اللَّه سبحانه وتعالى، من غير غفلة عن اسمه (الرقيب). ولهذا كان ﷺ يقول: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات**»(٢).

د ـ الموعظة الرابعة: «**وإياك وما يُعتذر منه**». أي كن حكيماً في تصرفاتك الفعلية والقولية أمام الناس حتى لا ترتكب ما يوجب الاعتذار. والشاعر يقول:

إحفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

ويقول آخر:

وأعجب مني كيف أخطئ دائماً ... مع أنني من أعرف الناس بالناس

فمن نظر في العواقب سلم من النوائب، ومن أسرع في الجواب أخطأ في الصواب، ومن ركب العجل أدركه الزلل.

وفي الختام قال رسول اللَّه ﷺ لعمه العباس رضي اللَّه عنه: «**يعجبني جمالك**»، قال: وما جمال الرجل يا رسول اللَّه؟ قال: «**لسانه**».

---

(١) رواه البخاري ورواه الإمام مسلم مع اختلافٍ يسير في اللفظ.
(٢) رواه الترمذي، وابن ماجه والنسائي.

الحديث السابع

من وصايا المصطفى ـ ﷺ ـ رقم (٢)

عن أبي ذر الغفاري رضي اللَّه عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ بأربع كلمات هنَّ إليَّ أحب من الدنيا وما فيها، قال لي: «**يا أبا ذر: أحكم السفينة فإن البحر عميق، واستكثر الزاد فإن السفر طويل، وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلص العمل فإن الناقد بصير**».

رواه الإمام المقدسي.

هذه أربع مواعظ من جوامع الكلم التي أعطيها المصطفى ﷺ:

أ ـ الموعظة الأولى: «**أحكم السفينة فإن البحر عميق**».

أحكم أي أتقن، فكما أن السفينة لا بد من إحكامها لتأمن سيرها في البحر الذي لا أمان له ـ تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ـ فكذلك العمل في هذه الحياة الدنيا لا بدَّ من إتقانه وإحكامه فالدنيا أيضاً لا أمان لها، يقول المصطفى ﷺ: «**حفَّت الجنة بالمكاره، وحفَّت النار بالشهوات**»[1]. وفي هذا يقول علي بن أبي طالب:

إن للَّه عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحيٍّ وطنا
جعلوها لجةً واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

ب ـ الموعظة الثانية: «**واستكثر الزاد فإن السفر طويل**»، إن العمل الصالح هو الزاد الحقيقي الذي يجب على كل عاقل أن يتزود به، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]. فاستصحاب التقوى، والتزود للمعاد، واتقاء المحظورات خير الزاد ليوم المعاد، فالزاد المطلوب إذاً يتلخص بأداء الواجبات واجتناب المنهيات وبتعبيرٍ آخر: «**إن أفضل زاد يتزود الإنسان به إلى دار الآخرة تقوى اللَّه تعالى بعبادته والتزام أحكام شريعته، فهذا بيان لزاد الآخرة بعد أن أمر بالتزود بزاد الدنيا، ونظيره قوله تعالى**

(١) رواه مسلم والترمذي وأحمد بن حنبل.

يبين لباس الأبدان مع لباس التقوى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾»[1] [الأعراف: ٢٦].

ج ـ الموعظة الثالثة: «**وخفف ظهرك فإن العقبة كؤود**»[2] والمراد أن يتخفف المرء من كل حملٍ ثقيل يحاسب عليه يوم القيامة خاصة: ظلم الناس، وإيذاء المؤمنين والمؤمنات بالأفعال أو الأقوال، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨]. ويقول أيضاً: ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١١٢]، وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلَّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»[3].

د ـ الموعظة الرابعة: «**وأخلص العمل فإن الناقد بصير**». والإخلاص مرتبط بمراقبة اللَّه سبحانه وتعالى على الدوام في جميع الأعمال. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وكلَّما راقب الإنسان عمله وعلم أن اللَّه مطلع عليه كلَّما اقترب من درجة الإحسان: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

---

(١) الإسلام للَّه تعالى، سورة البقرة، عبد الحميد طهماز، ص ٢١٦، والآية من سورة الأعراف (٢٦).

(٢) العقبة: الطريق في أعلى الجبل، كؤود: صعبة المرتقى.

(٣) رواه البخاري.

الحديث الثامن

فتنة القلب

عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**تعرضُ الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاءُ، حتى تصير على قلبين: على أبيضَ مثلِ الصفا فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخرُ أسودُ مُرْبَادًّا كالكوزِ مُجَخِّياً لا يعرفُ معروفاً ولا يُنكِرُ منكراً إلا ما أُشرِب من هواه**». رواه مسلم.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

هذه سنة اللَّه... الصراع بين الحق والباطل على مدار التاريخ... ليميز اللَّه الذين صدقوا ويزداد الذين آمنوا إيماناً، من الذين كذبوا فيقولون ماذا أراد اللَّه بهذا مثلاً؟

لا بدَّ إذاً من الفتنة والمحنة والاختبار، والحديث يبين لنا عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً. كعرض عيدان الحصير ونسجه عوداً عوداً. فعلى المؤمن أن يحذر من عدوه وطُرقه وإغراءاته وفتنه وضلالاته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر: ٦].

أ ـ ثم إن الحديث قسّم القلوب عند تعرضها للفتن إلى قسمين: قلب إذا عرضت عليه فتنة أُشربها كما يشرب الإسفنج الماء فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسودّ وينتكس وهو معنى قوله: «**أسود مُرْبادًّا كالكوز مُجَخِّياً**» ومربادًّا أي شيء من بياض يسيرٍ يخالط السواد، والكوز هو الإناء، ومجخياً أي منكوساً وهو قريب من المائل، و هنا تشبيه للقلب الذي لا يعي الخير بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه، والمقصود أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام. والقلب مثل الكوز، فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك. حتى يشتبه المعروف عليه فيراه منكراً، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلاً

والباطل حقاً. إلى أن يصبح الهوى إمامه ومقدَّماً على ما جاء به الرسول ﷺ.

ب ـ قلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان، كأنه كوكب دري يوقد من شجرة مباركة، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردّها فازداد إيماناً ونوراً وإشراقاً. وقد شبه الرسول ﷺ هذا القلب «**بالصفا**» وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء. والمقصود سلامته من الخلل وأن الفتن لا تلصق به فلا تؤثر فيه كالصفا. وهذا هو القلب السليم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

ويقول المصطفى ﷺ: «**إنَّ لكل عمل[١] شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سُنتي فقد اهتدى ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك**»[٢].

أقول:

كل عاملٍ للإسلام معرض للفتنة، ومسؤوليتنا تقع في مساعدته وذلك بالدعاء له كي يتخلص من محنته رحمةً به ورأفة، ثم مدّ يد المساعدة والعون حتى نكون عوناً له على الشيطان لا أن نكون عوناً للشيطان عليه. وقد جاء في الحديث أن رسول اللَّه ﷺ أُتي بلص فاعترف اعترافاً ولم يوجد معه المتاع. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما أخالك سرقت**» قال: بلى. ثم قال: «**ما أخالك سرقت**». قال: بلى. فأُمر به فقطع. فقال النبي ﷺ: «**قل: أستغفر اللَّه وأتوب إليه**». قال: أستغفر اللَّه وأتوب إليه، قال: «**اللَّهم تب عليه**»[٣]. وعن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه: أن رجلاً على عهد رسول اللَّه ﷺ كان اسمه عبد اللَّه، وكان يُلقب بالحمار، وكان يُضحك رسول اللَّه ﷺ، وكان رسول اللَّه ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل مِن القوم: اللَّهم العنه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تلعنوه فواللَّه ما علمت إلا أنه يحب اللَّه ورسوله**»[٤].

فما بالنا نضنُّ بالدعاء أو المساعدة لمن وقع في الفتنة! لا بل نشنُّ عليهم حرباً لا هوادة فيها وننسى قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

---

(١) وفي رواية عامل.

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة والسيوطي في الجامع الصغير وابن المبارك في الزهد والهيثمي في مجمع الزوائد، وأحمد بن حنبل في المسند مع اختلاف في اللفظ.

(٣) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه.

(٤) رواه البخاري.

الحديث التاسع

مفهوم العبادة

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته؟ فلما أُخبروا كأنَّهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر؟ قال أحدهم: أمَّا أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: «**أنا أصوم الدهر ولا أُفطر**»، وقال آخر: «**أنا أعتزل النساءَ فلا أتزوجُ أبداً**»، فجاء رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما واللَّه إني لأخشاكم للَّه وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مني**».

متفق عليه.

هذا الحديث يبين فساد وضلال مفهوم العبادة لكثير من الناس الذين ألزموا أنفسهم أشياء لم يفرضها عليهم الإسلام تخالف الفطرة وعمل النبي ﷺ. وقد أنكر اللَّه سبحانه وتعالى رأي الذين يحرِّمون المباح من الطيبات والزينة.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقد حث الإسلام على الزواج فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

ووجه عليه الصلاة والسلام نداءه إلى الشباب عامة فقال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**».

إن حاجة الإنسان للراحة والنوم والغذاء وتنظيم وتهذيب الغريزة الجنسية جبلَّةٌ فُطر الإنسان عليها وضرورة حيوية وسلامة جسدية، فجاءت الشريعة الإسلامية تقرُّ الواقعية الصحيحة ومخالفة لقانون الأهواء والشهوات، لأن الشريعة الإسلامية من عند اللَّه العليم الخبير الرؤوف الرحيم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

الحديث العاشر

محبة الصحابة رضوان اللَّه عليهم

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**».

رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل وابن أبي شيبة في مصنفه.

المُدُّ: «**مكيال .... وفي حديث فضل الصحابة: ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه، والمُدُّ في الأصل: ربع صاع وإنما قدَّره به لأنه أقلُّ ما كانوا يتصدقون به في العادة**»(١).

نذكر في البداية بعضاً من الآيات القرآنية التي ذكرت الصحابة الكرام بالمدح والثناء:

أ ـ قال اللَّه عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ب ـ وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ج ـ وقال عزَّ وجلّ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

و ـ وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨]

هـ ـ وقال عزَّ وجلّ: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

و ـ وقال عزَّ وجلّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري ٣/ ٤٩٠.

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩] أي إنما قواهم وكثرهم ليغيظ بهم الكفار، ومن هذه الآية استدل الإمام مالك رحمه اللَّه على تكفير الذين يبغضون الصحابة رضي اللَّه عنهم، قال: لأنهم يغيظونهم.

وهذه طائفة من أحاديث رسول اللَّه ﷺ:

أ ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق اللَّه عزَّ وجلّ المهاجرون**»(١).

ب ـ عن أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اللَّهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار**»(٢).

ج ـ وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: سئل رسول اللَّه ﷺ: أي الناس خير؟

قال: «**أنا ومن معي، ثم الذين على الأثر، ثم الذين على الأثر**»(٣)

د ـ عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أرحم هذه الأمة بها أبو بكر، وأقواهم في دين اللَّه عمر، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأصدقهم حياءً عثمان بن عفان، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وأقرؤهم لكتاب اللَّه أبي بن كعب، و أبو هريرة وعاء من العلم، وسلمان علم لا يدرك، ومعاذ بن جبل أعلم الناس بحلال اللَّه وحرامه، وما أظلت الخضراء ولا أقلت البطحاء من ذي لهجةٍ أصدق من أبي ذر**»(٤).

هـ ـ عن عبد الرحمن بن سالم عن جده أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّه عزَّ وجلّ اختارني واختار لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين لا يقبل اللَّه منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً**»(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد بن حنبل والحاكم في المستدرك وابن حبان.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والترمذي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل مع اختلاف يسير في اللفظ بينهم.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في السنة والطبراني في المعجم الكبير والحاكم في المستدرك.

يقول الإمام النووي: «**واعلم أن سب الصحابة رضي اللَّه عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون**»[1].

ويقول أبو زرعة ـ رحمه اللَّه ـ: «**إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فاعلم أنه زنديق، لأن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحابُ رسول اللَّه ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة**».

إذاً من قال خيراً في أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقد برئ من النفاق، ومن قال شراً في أصحاب رسول اللَّه ﷺ فليراجع إسلامه.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ٧٢.

الحديث الحادي عشر

زوجات النبي ﷺ

عن أبي حميد الساعدي رضي اللَّه عنه أنهم قالوا: يا رسول اللَّه كيف نصلِّي عليك؟

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**قولوا: اللَّهم صلِّ على محمدٍ وأزواجه وذرِّيته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذرِّيته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**».

رواه البخاري ومسلم والنَّسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

ـ نقل ابن كثير في معنى صلاة اللَّه ما قاله أبو العالية: (صلاة اللَّه تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء). ونقل أيضاً قول سفيان الثوري: (صلاة الرب رحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار)[1].

ـ (اللَّهم صلِّ على محمد) أي عظِّمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته و إبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته، وقيل: لما أمرنا اللَّه بالصلاة عليه لم نبلغ قدر الواجب من ذلك فأحلنا على اللَّه تعالى وقلنا: اللَّهم صلِّ أنت على محمد لأنك أعلم بما يليق به[2].

ـ (وبارك على محمد) معنى البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة، وقيل: هي بمعنى التطهير والتزكية.

ـ يستدل من الحديث بأن الزوجة من آل بيت الرجل وأهله، وهذا يعني أن زوجات الرسول ﷺ هنَّ من آله وأهله سلام اللَّه عليهم أجمعين... لكنَّ هذا الاستدلال مأخوذ أيضاً من القرآن الكريم وهو ما سنبدأ به أولاً.

أ ـ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [القصص: ٢٩] والمراد بأهله هنا زوجته، فالزوجة إذاً من الأهل.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار محمد علي الصابوني ٣/ ١١٠.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الحسين بن محمد الطيبي ٣/ ١٠٣٩.

ب ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٣٣ ـ ١٣٥]، أي اذكر حين خلصناه ـ لوطاً ـ من العذاب هو ومن آمن معه من أهله وأولاده إلا امرأته الكافرة فإنها لم تؤمن فكانت من الباقين في العذاب، فالزوجة من الأهل.

ج ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قال الفخر الرازي: (فقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي يزيل عنكم الذنوب ويطهركم أي يلبسكم خلع الكرامة. ثم إن اللَّه تعالى ترك خطاب المؤنثات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم)[١]. وينقل السيوطي عن ابن عباسٍ رضي اللَّه عنهما عند تفسيره لهذه الآية قال: (نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة. وقال عكرمة رضي اللَّه عنه: من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ)[٢]. وهذا الرأي يصرح به كل ابن عجيبة في تفسيره: (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)، والمراغي في تفسيره: (تفسير المراغي)، والزمخشري في تفسيره: (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل)، وسعيد حوى في تفسيره: (الأساس في التفسير)، وابن عطية الأندلسي في تفسيره: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وناصر الدين البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل). أما تخصيص علي وفاطمة والحسن والحسين بأنهم آل البيت فالاحتجاج بذلك ضعيف لأن التخصيص لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها وحديث الكساء يقتضي أنهم من أهل البيت لا أنه ليس غيرهم.

د ـ قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]. يقول أبو عبد اللَّه القرطبي: «**هذه الآية تعطي أن زوجة الرجل من أهل البيت، فدلّ هذا على أن أزواج الأنبياء من أهل البيت، فعائشة رضي اللَّه عنها وغيرها من جملة أهل البيت**»[٣] ويقول الزحيلي: دلّت آية ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] على أن زوجة الرجل من أهل

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي ١٣/ ١٨١.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي ٥/ ٣٧٦ وباهلته أي لاعنته.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد اللَّه القرطبي ٥/ ٤٨.

البيت، وأن أزواج الأنبياء من أهل البيت، فعائشة رضي اللَّه عنها وغيرها من جملة أهل بيت النبي ﷺ وممن قال اللَّه فيهم: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] [الأحزاب: ٣٣] وبهذا الرأي صرَّح كل من: ابن عطية في تفسيره، وأبي حيّان الأندلسي في تفسيره، ومحمود الألوسي في تفسيره: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، وأبي الطيب القنوجي في تفسيره: (فتح البيان في مقاصد القرآن)، ومحمد سليمان الأشقر في تفسيره: (زبدة التفاسير)، ومحمد رشيد رضا في تفسيره: (القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار)، وأبي بكر الجزائري في تفسيره: (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير)، والقاسمي في تفسيره: (محاسن التأويل)، والثعالبي في تفسيره: (الجواهر الحسان)، والشوكاني في تفسيره: (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير).

٢ ـ الاستدلال من الحديث النبوي (عودة على بداية الحديث).

أ ـ روى البخاري في صحيحه أن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعبُ بنُ عجرة فقال: ألا أُهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فاهدها لي، فقال: سألنا رسول اللَّه ﷺ فقلنا: يا رسول اللَّه كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن اللَّه قد علَّمنا كيف نُسلم عليكم؟ قال: «**قولوا: اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»، لو قمنا بعملية مقابلةٍ بين جمل الحديث الأول وجمل الحديث الثاني وقارنَّا بينهما لوجدنا أن الحديث يدل بطريق الاستنتاج أن آل محمد هم أزواجه وذريته عليهم السلام والمقابلة تكون على الوجه التالي:

* اللَّهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته (مقابل) اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.

* وبارك على محمد وأزواجه وذريته (مقابل) اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد.

وفي هذا القدر من الأدلة ذكرى للذاكرين، وليس بعد هذا إلا أن نقول لمن انتقص حقاً من حقوق أمهات المؤمنين: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي ٦/ ١١١.

الحديث الثاني عشر

قراءة القرآن الكريم

عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثلُ الذي يقرأُ القرآن كالأُتْرُجَّةِ، طعمُها طيّبٌ وريحها طيّب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة، طعمُها طيّبٌ ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأُ القرآن كمثلِ الرَّيحانة ريحها طيّبٌ وطعمها مُرٌّ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأُ القرآن كمثلِ الحنظلةِ طعمُها مُرٌّ ولا ريح لها**».

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنّسائي.

الأترج: نوع من الفاكهة واحدته أترجة. وهو حسن المنظر، ليِّن الملمس، لذيذ الأكل، طيّب الرائحة.

الريحان: كل نبت طيب الرائحة.

الحنظل: نبات يمتد على الأرض كالبطيخ وثمره يشبه ثمر البطيخ ويضرب المثل بمرارته.

يصور لنا المصطفى ﷺ في هذا الحديث اتجاهات الناس بالنسبة إلى القرآن الكريم، فمنهم من يقرأ عن يقين وتأثر وخشوع، يتلوه آناء الليل وساعات النهار، وهذا يشبِّهه المصطفى ﷺ بالأترجَّة ذات المذاق اللذيذ والرائحة الطيبة، فإن تعاملت معه وجدته براً تقياً يعيش مع القرآن وذكر اللَّه.

ومنهم من يغفل عن القرآن، ويهمل قراءته، مع أنه من أبناء الإسلام، مؤمن بالقرآن عامل بفرائضه، ولكن أصابه تفريط فليس له من تلاوة القرآن وحفظه نصيب، فهذا يشبِّهه المصطفى ﷺ بالثمرة ذات المذاق الحلو، أما الرائحة فمفقودة إذ لم يمسها طيب القرآن.

ومنهم منافق مخادع، ينطق بكلمات القرآن، ولكن يطوي صدره على الجحود والإجرام، فهو يقرأ القرآن الكريم ويعرف ألفاظه ولكن التلاوة لا تتجاوز حنجرته لسواد قلبه وظلام فؤاده، فهذا يشبّهه المصطفى ﷺ بالريحانة رائحتها ذكية وطعمها مرّ، فإن تعاملت معه لا ترى للقرآن أثراً في نفسه لأنَّ فجوره ونفاقه ختم على قلبه.

ومنهم منافق سيّئ المنظر سيّئ المخبر في صدره النفاق، وهو بعيد عن القرآن الكريم ولا صلة له به لا علماً ولا عملاً ولا تلاوة ولا حفظاً، فهذا يشبّهه المصطفى ﷺ بالحنظلة لا ريح لها وطعمها مرٌّ علقم، فقد حرم الخير إذ حرم كتاب اللَّه. فالواجب علينا أن نكون من الصنف الأول نتلو كتاب اللَّه متعبدين بتلاوته، ولكن كيف نقرأ القرآن[1]؟

نقرؤه لمجرد التلاوة؟

نقرؤه لنذكر الآخرة ونذكر الموت ونذكر البعث والجزاء؟ نقرؤه لنعجب ببلاغته ونطرب لجمال عباراته وألفاظه؟ نقرؤه لنستخرج منه أبحاثاً ودراسات؟ نقرؤه لنصوغ منه نظريات سياسية واقتصادية واجتماعية وتربوية ونفسية؟ نقرؤه لنتخير منه مواعظ أخلاقية نعظ بها أنفسنا ونعظ بها الناس؟ فلنصنع منه ذلك إن شئنا... لا ضير.

فأيًّا كان هدف التلاوة فقد كتب اللَّه عليها الأجر، طالما كان التوجه فيها إلى اللَّه، والرغبة فيها إلى اللَّه... ولكن الأجر يتفاوت ولا شك على قدر ما في التلاوة من التدبر الذي أمر به اللَّه، وعلى قدر ما يؤدي التدبر إلى الغاية المطلوبة منه، فليس التدبر غاية في ذاته إنما هو وسيلة لأمر عظيم يراد: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

(١) انظر دراسات قرآنية، محمد قطب ص ٤٨٨.

الحديث الثالث عشر

اطلبوا الخير دهركم كلَّه

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اطلبوا الخير دهركم كلّه، وتعرضوا لنفحات اللَّه، فإن للَّه نفحاتٍ من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا اللَّه تعالى أن يستر عوراتِكم وأن يؤمِّنَ روعاتكم**». رواه البيهقي في شعب الإيمان، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والسيوطي في الجامع الصغير.

العبارة الأولى من هذا الحديث: «**اطلبوا الخير دهركم كله**»... واضحة الدلالة في دعوة الإنسان إلى طلب الخير، والحث على البر، وعمل الطيب طيلة الدهر وفي جميع الأوقات والأزمنة، في الليل والنهار، في الصباح والظهيرة والمساء، في الصيف أو الشتاء، في الخريف أو الربيع، في جميع مراحل العمر حتى الرمق الأخير. وطلب الخير ليس له وقت محدد ولا زمان معلوم، فكل وقت يجب أن يصبَّ في خانة الخير والمعروف والطيِّب، وكل زمن يجب تسخيره إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

لقد أصيب المسلمون اليوم بمصيبة ضياع الوقت، فمن كثرة النوم، إلى الإسراف في المباحات واللَّهو، ومن قلة الاستفادة من الوقت إلى جلساتٍ لا فائدة فيها، فيا حبذا لو استيقظوا من سباتهم العميق وانتبهوا إلى ما بأيديهم من نعمة الوقت، فحافظوا عليها لأنهم محاسبون على هذه النعمة، فَمَلَكُ الحسنات يسجل، ومَلَكُ السيئات يحصي، وأين المفر من اللَّه إلا إليه؟ والمصطفى ﷺ يقول: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[1].

أما العبارة الثانية من الحديث: «**فإنَّ للَّه نفحات من رحمته**»... ففيها إشارة إلى تخصيص بعض الأزمنة بالفضل والخير والبركة. ومن هذه الأزمنة:

أ ـ تخصيص شهر رمضان: يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

(١) رواه الحاكم في المستدرك وأحمد بن حنبل والبغوي في شرح السنة.

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ب ـ تخصيص أشهر الحج: يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ج ـ تخصيص أوقات من الليل (وقت السَّحر): يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ۖ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

فالعجب كل العجب ممن تخلفوا في هذه الدنيا لطول جمودهم، وتخلفوا عن الآخرة لكثرة مبتدعاتهم، يريدون الطعام وهم قاعدون، يريدون امتلاك الدنيا وهم نائمون، يريدون مواكبة الأمم المتقدمة وهم في غفلةٍ ساهون، وهم بهذا يمهدون لتدمير الأمة. ولن تنشأ أجيال زاكية ذكية عاملة قوية، تقود ولا تقاد، تحب الرقي وتكره الفساد، إلا إذا قدَّرت الوقت حق التقدير، فاعتنت به وحافظت عليه، وعرفت ما له من حق وقيمة، فشاع فيما بينها الحرص على الوقت للمحافظة على الحياة. والأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تكون إلى الاستفادة من الوقت، فهو عنصرها الذي افتقدته، عسى أن تهتدي إليه حتى تستيقظ من سباتها العميق.

الحديث الرابع عشر

حمد اللَّه وشكره على نعمه

عن أبي أُمامة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد للَّه كثيراً طيباً مباركاً فيه غيرَ مكفيّ ولا مُودَّعٍ ولا مُستغنىً عنه ربّنا**». رواه البخاري.

المعنى: اللَّهم لك الحمد غير مكفيٍّ أي أن نعمة اللَّه لا تكافأ ولا مُودَّعٍ أي غير متروك.

وقال النبيُّ ﷺ مرة: «**الحمد للَّه الذي كفانا وأَرْوَانا غيرَ مكفيٍّ ولا مكفور**». ومكفور أي غير مجحود نعم اللَّه سبحانه وتعالى فيه، بل مشكورة غير مستور الاعتراف بها والحمد للَّه. فكان النبي ﷺ دائم الحمد والشكر للَّه بعد الانتهاء من الطعام والشراب وقد علَّمنا هذا في أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي وابن ماجه وأبو داود عن معاذ بن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أكل طعاماً فقال: الحمد للَّه الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حولٍ منّي ولا قوة غُفر له ما تقدم من ذنبه**». وفي كتاب ابن السني عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ: «**أنه كان يقول في الطعام إذا فرغ: الحمد للَّه الذي منَّ علينا وهدانا والذي أشبعنا وأرْوَانا وكلَّ الإحسان آتانا**».

إن نعم اللَّه كثيرة: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]. وممّا يُروى عن داود عليه السلام أنه قال: «**أي ربِّ كيف أشكرك وشكري لك نعمةٌ متجددةٌ منك عليَّ؟ قال: يا داود الآن شكرتني**».

فيا أيها الإنسان! ما أشرف الأوقات التي ضيَّعتها! وما أجهل الشهوات التي أطعتها! فتدبر صحفك ما أودعتها، قبل الرحيل عن القليل، والمناقشة عن النقير والفتيل، قبل النزول إلى اللحد، لتصبح طعاماً للدود في بيتٍ مسدود، ولو قيل للعاصي: ما تختار؟ لقال: أعودُ ولن يعود. فالشكر والحمد للَّه سبحانه وتعالى على ما أعطى ووهب ومنح وأنعم، ونسأله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة.

الحديث الخامس عشر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن النعمان بن بشير ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينةٍ، فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**». رواه البخاري والترمذي.

القائم على حدود اللَّه: أي المحافظ عليها والمستمسك بأوامر اللَّه وواجب الدعوة.

الواقع فيها: الذي يرتكب المعاصي ولا يبالي، والمستهتر بالدين.

الاستهام: الاقتراع.

هذا مثل ضربه رسول اللَّه ﷺ مبيناً أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث شبه المجتمع بركّاب سفينة تشق طريقها في البحر وسط أمواج متلاطمة، فاقترعوا على أمكنتهم فيها، حتى لا يتنازعوا فيما بينهم على الأماكن، فكان منهم فريق في أعلى السفينة، وفريق في أسفلها، وهؤلاء الذين في أسفلها كانوا يجلبون الماء من الأعلى، وفي ذلك مشقة عليهم، ففكروا بثقب أسفل السفينة، كيلا يتعبوا فقالوا: «**لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**».

فلا بد إذاً للصالحين من تأدية واجبهم الشرعي في التقويم والأخذ على يد الظالم أو المفسد حتى لا ينتشر الشرُّ، ويعمَّ الفساد، ويسود الظلم والطغيان، وإلا فالعقاب سيصيب المفسدين لفسادهم، والصالحين لتقصيرهم. وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم في سورة الأنفال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]. وعبّر عنه المصطفى ﷺ بقوله: «**إن**

الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيّرونه أوشك أن يعمهم اللَّه بعقابه»[١].

قال الإمام البغوي: «**وفيه ـ أي الحديث ـ إثبات القرعة في سكن السفينة ونحوها من المنازل التي ينزلها أبناء السبيل إذا جاؤوا معاً، فإن سبق واحد فهو أحق**»[٢].

أقول: **أولاً**: إن فساد الأمم وخراب البلدان ينشآن مع انتشار الفساد وكمِّ الأفواه، حيث لا مكان لكلمة الحق وقول النصيحة، ولا مجال لدعوة الخير والأمر بالمعروف، فيكون تدمير الأمم من داخلها.

والأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى صياغة جديدة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعبارة أخرى إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت مظلة الإسلام، وبما يتلاءم مع الظروف والأوضاع التي تعيشها في هذا العصر. واضعة أمامها هدفاً محدداً هو تغيير الواقع السيّئ الذي تعيشه إلى الأفضل والأسلم ـ شرعاً وعقلاً ـ وذلك عن طريق إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليكون الجسر الذي نعبر عليه إلى الضفة الأخرى التي يرضى اللَّه عنها. والعملية هذه تتطلب بث عملية الإحياء هذه لتكون إرادة شعبية جماهيرية في ميدان الحياة لتتم عملية التغيير والتبديل.

ثانياً: إن قضية تغيير المنكر باليد ـ القوة ـ لا بدّ من وضع ضوابط لها، تتناسب مع وضع المسلمين اليوم، حيث يعيشون اليوم رعيةً من غير راع، فلا غطاء سياسي يحمي ظهورهم، ولا خلافة راشدة تأخذ بأيديهم. وتحديات القرن الحادي والعشرين، وقضية العولمة، واتهام الإسلام بالإرهاب، والحرب الأخيرة على العراق وقبلها أفغانستان، ولا ندري من بعدهما... كل هذا يتطلب إعادة بحث القضية من جديد، وعلى رأس الهرم قضية تغيير طريقة الخطاب الإسلامي للناس أجمعين ـ أسلوب العرض ـ وفي الحديث الذي هو عمدة القائلين بتغيير المنكر بالقوة: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده**» فسحة واضحة المعالم ومجال ظاهر للعيان أنَّ المسلم قد لا يستطيع ذلك فينقل إلى الدرجة الثانية أو الثالثة حسب استطاعته (فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه). فباب الدعوة

(١) رواه ابن ماجه وأحمد.

(٢) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي ٧/ ٣٥٦.

والتوجيه والتوعية والنصح والإرشاد موجود وهو أحوج ما نحتاج إليه اليوم. «**سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف باليد؟ قال: تفرق بينهم**»[١]. وروى صالح عن والده أحمد بن حنبل أن التغيير باليد: «**ليس بالسيف والسلاح**»[٢].

وها هو عمر بن عبد العزيز يعجز بعدما وُلّي إمارة المسلمين عن ردّ الأمر شورى بين المسلمين بعيداً عن نظام الوراثة.. وهو من هو في تاريخ المسلمين وبالرغم من هذا لم يستعمل القوة لتغيير منكرٍ غيَّر وجه التاريخ... إن الأخذ بسنة التدرج القرآني ينبغي أن تتبع اليوم في الخطاب الإسلامي ـ أسلوب العرض ـ خاصة في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وليس المقصود بسنة التدرج التسويف والمماطلة بل التخطيط بوعي وصدق.

(١) الخلال، أحمد بن محمد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ص (٤٤).
(٢) المصدر السابق، ص (٤٤).

الحديث السادس عشر

طلب العلم فريضة

عن أنس بن مالك، رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلّد الخنازيرِ الجوهرَ واللؤلؤَ والذهبَ**».

رواه ابن ماجه، وهذا الحديث روي من عدة طرق وبأسانيد مختلفة مع اختلاف في اللفظ.

إنَّ من يقرأ القرآن الكريم يجد مشتقات «**علم**» تتردد كثيراً مما يؤكد على فضل العلم وأهميته في القرآن الكريم. ويكفي هذا الموضوع شرفاً ومنزلةً أن أول آيات نزلت على محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

ولا يستوي العالم والجاهل في نظر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. ويمنُّ اللَّه سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ بتعلمه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وذمَّ اللَّه سبحانه وتعالى الجدال بغير علم بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

والعلم الذي نوّه به القرآن الكريم، هو كل علم تنكشف به حقيقة الأشياء، ويزيل الجهل والضلال والظن عن الإنسان، وهذا ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]

ولسنا نقوم بعملية إحصاء للآيات القرآنية التي تتحدث عن العلم حتى لا نخرج عمّا التزمناه في مقدمة الكتاب، وذلك بعدم الدخول في التفاصيل والجزئيات، ومن أراد أن يتوسع في هذا الموضوع فعليه الاستعانة بالكتب التالية:

أ ـ إحياء علوم الدين، حجة الإسلام محمد الغزالي (أبو حامد).
ب ـ الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.
ج ـ الرسول والعلم، د. يوسف القرضاوي.
د ـ العقل والعلم في القرآن الكريم د. يوسف القرضاوي.. وغيرهم...

هذا وقد حمل الإسلام حملة مشددة على الأوهام والخرافات والشعوذات، وأعلن أن الغيب لا يعلمه إلا اللَّه، يقول المصطفى ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١). وروى المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه قال: انكسفت الشمسُ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللَّه، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا اللَّه وصلّوا حتى ينجلي**»(٢).

وإلى طلبة العلم في المدارس والجامعات، وإلى العاملين في الدعوة إلى اللَّه، وإلى كل غيور يحمل من هموم الدعوة ما يحمل أنقل مقولة للشيخ محمد الغزالي السقا حيث يقول: «**والمسلمون الذين أعطوا العالم النظام العشري في العد، ولا تزال الدنيا تستخدمه إلى الآن، والجداول التي نعرفها باسم اللوغارتيمية ـ وهي الخوارزمية نسبة ـ إلى عبد اللَّه الخوارزمي ـ والذين أسسوا علم المثلثات على أيدي حمشيد بن مسعود وابن سيناء، والذين أحدثوا قفزات ضخمة في معرفة الإنسان، من خلال ما كتب ابن الهيثم في الفيزياء والبصريات، والرازي في الصيدلة، وابن سينا في الطب، وجابر بن حيان في الكيمياء، والإصطخري والإدريسي في جغرافية الأرض... هؤلاء المسلمون خلفوا أجيالاً احتاجت إلى فتاوى شرعية لتدريس الحساب والطبيعات والجغرافيا!**» ثم يقول: «**ليست التقوى أن تترك الدنيا، إنما التقوى أن تملكها، فإذا ملكتها وأنت عبد اللَّه، فأنت وما في يديك له، إن الهاربين من الحياة ليسوا رجالاً، وليسوا بمؤمنين**». فهذه دعوة إلى طلبة العلم أنهم على ثغرة من ثغور الإسلام عسى أن لا يخيّبوا أملنا وأن يكونوا أهلاً لها.

(١) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه.
(٢) رواه البخاري والنسائي وابن ماجه.

الحديث السابع عشر

أي الإسلام أفضل؟

عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه قال: قالوا: يا رسول اللَّه، أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**». رواه البخاري ومسلم.

كان المسلمون يبحثون دائماً عن طرق الخير، فكانوا يسألون رسول اللَّه ﷺ كثيراً عن أفضل الأعمال وأحسنها فتارةً يسألون: أي الإسلام أفضل؟ أو: أي الأعمال أحب إلى اللَّه؟ أو: أي الأعمال أفضل؟ أو: أي المؤمنين أفضل؟ أو: أي المسلمين أفضل؟ أو: أي الناس خير؟... وكان ﷺ ينوِّع الإجابات بحسب السائل الذي أمامه، ويرشد كل واحدٍ إلى ما يناسب حاله، فإن كان شاباً دلَّه على الجهاد مثلاً، وإن كان شيخاً كبيراً أرشده إلى العبادة والذكر، وإن كان غنياً أرشده إلى الإنفاق في سبيل اللَّه...

والمراد مِنْ (مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده) أي لم يصل المسلمين من أذاه شيء، لأنه كفَّ الأذى عنهم من يده ـ كالضرب ـ ومن لسانه ـ كالشتم أو الغيبة. وفي حديثه ﷺ لمعاذ: «**كفَّ عليك هذا**»[1] وأشار إلى لسانه وقد فقه الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من هذا الحديث ما جاء على لسانه:

إذا رمت أن تحيا سليماً من الرَّدَى ... ودِينُك موفورٌ وعِرضُك صيِّنُ
فلا ينطقنْ منك اللسانُ بسوأةٍ ... فكُلُّكُ سوءاتٌ وللناس ألسُنُ
وعيناك إن أبدتْ إليك مَعَائباً ... فدعها وقلْ يا عينُ للناس أعينُ
وعاشرْ بمعروفٍ وسامح من اعتدى ... ودافعْ ولكنْ بالتي هي أحسنُ

والناس قد لا ينتبهون للكلام الباطل، ويغفلون عن الإشاعات خاصة إن كانت تحوم حول العرض والشرف، وهناك أناس أُوتوا بَسْطَة في ألسنتهم مع ما يغري النفس من مناوشة الحديث واصطياد الشبهات، فإذا هم يقضون أوقاتهم في تسقّط الأخبار وتتبع العيوب، وقد فشا في عصرنا آفة النوادي التي تحمل هذه العلل، وجلسات الصالونات التي تحمل هذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة، وقد

(١) رواه الترمذي والنَّسائي وابن ماجه.

ذكر القرآن الكريم أهل سقر ـ جهنم ـ فذكر حالهم: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٥]. ويزداد الإثم والتحريم إذا كان الخوض باطلاً في مسائل الاعتقاد.

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وقد رأيت في عصرنا اليوم من يتصدر للفتوى ولا يملك أدواتها، ومن يتحدث في السياسة والشأن العام ولا رأي له، ومن يريد إصلاح الناس والمجتمع وهو عاجز عن إصلاح بيته، ومن أعجب الأمور وأكثرها خطراً أن بعضهم يظهر على الفضائيات ليخرج على الناس بآرائه فيضل الناس بغير علم! لماذا لا تترك الأمور لأصحابها؟ لماذا تختلط الأوراق فيتحدث في السياسة غير أهلها؟ ويتحدث في الدين من لا يحسن الوضوء ولا قراءة الفاتحة؟ وهنا نعود إلى حديث الرسول ﷺ والذي مرَّ سابقاً «**حديث الرويبضة**» أي التافه الذي يتحدث بأمر العامة. وقد صدق القائل:

وليس كل خلافٍ جاء معتبراً إلا خلافاً له حظٌّ من النظر

فلننتبه إلى هذا اللسان الذي يغمز الأكابر ويتعامى عن كل ما لهم من حسنات... القوم في أوروبا إذا رأوْا من عظمائهم خيراً أذاعوه وإذا رأوا شراً دفنوه. أما نحن فنضخِّم الصغائر إن وجُدت، ونصدّق القصص التي لا سند لها لنترك الصحيح! فكم يطعنُ من أبناء جلدتنا بخالد بن الوليد، أو هارون الرشيد، أو جمال الدين الأفغاني؟ وهم قمة في العطاء والدفاع عن الإسلام والمسلمين، بينما يدافع الآخرون عن نابليون المعروف عندهم بشذوذه، وها هو اليوم شارون عندهم رجل السلام!!...

وأخيراً... الحذر الحذر من أكل لحوم العلماء، واغتياب العاملين في حقل الدعوة إلى اللَّه، ولا ننسى أولي الفضل منهم ممن جاهد في سبيل اللَّه وأخصُّ بالذكر منهم من قضى نحبه، وهنا نتذكر قول يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل ـ رحمه اللَّه ـ: «**إنا لنطعن على أقوامٍ لعلهم قد حطُّوا رحالهم في الجنة من مائتي سنة**».

الحديث الثامن عشر

إن اللَّه حرّم عليكم

عن المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إن اللَّه حرَّم عليكم: عقوق الأمهات وَوَأْد البنات، ومنعَ وهات. وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**». رواه البخاري ومسلم.

(عقوق الأمهات): إيذاؤهنّ وعدم القيام بحقوقهنَّ.

(وأد البنات): هو دفن البنات على قيد الحياة، وكان البعض من أهل الجاهلية يفعلون ذلك كراهة في البنات. وهو أمر محرّم في الإسلام، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]. (ومنع وهات): أي منع ما أمر اللَّهُ بإعطائه وطلب ما يستحق. (قيل وقال): أي كثرة الكلام أو الجدل بالباطل أو كثرة الكلام المفضي إلى الخطأ والزلل.

اهتم الإسلام بتربية الأفراد على أساس الفضيلة وحسن الخلق. وفي هذا الحديث دعوة إلى عدة أمور منها.

أ ـ احترام الأم وتحريم عقوقها، وقد عدَّ المصطفى ﷺ عقوق الوالدين من الكبائر وذلك بقوله:

«**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قلنا: بلى يا رسول اللَّه، قال ثلاثاً: «**الإشراك باللَّه، وعقوق الوالدين ـ وكان متكئاً فجلس فقال ـ ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت**»[1]. وأحق الناس بالعناية والرعاية هي (الأم)، فلولا رعايتها وحنانها وتعبها لما عاش إنسان، قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ [الأحقاف: ١٥]. وقد خصَّ رسول اللَّه ﷺ الأم في هذا الحديث لأن العقوق إليها أسرع لضعفها ولينبه على أن برَّ الأمّ مقدم على برِّ الأب في التلطف والحنان.

ب ـ تحريم وأد البنات: وهو أمر شائن قبيح، فيه من الإجرام ما يعافه الطبع

(١) رواه البخاري ومسلم.

السليم. وأول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمي ـ أغار عليه عدوه فأسر ٱبنته واستفرشها، ثم اصطلحا فخيّر ابنته فاختارت زوجها، فآلى على نفسه ألا تولد له بنت إلا دفنها فتبعته العرب[١]. وكان دفن البنات وهنَّ أحياء إمّا خوفاً من الفقر وإمّا خوفاً من العار بزلة قد تقع في المستقبل.

ج ـ اجتناب الظلم: وذلك بمنع ما وجب على الإنسان من الحقوق، ومطالبته بما ليس له من حق. فهذا ظلم وعدوانٌ عبر عنه رسول اللَّه ﷺ بقوله: (ومنع وهات) وفي رواية (ومنعاً وهات). وقد فسّر الإمام البغوي (منع وهات) بقوله: (منع الواجب عليه من الحقوق وأخذ ما لا يحلّ له من أموال الناس)[٢]. فالنهي إذاً يشمل منع الواجب من الأموال والأقوال والأفعال والأخلاق من الحقوق اللازمة فيها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق.

يريد المصطفى ﷺ من قوله: «**منع وهات**». أن يبين لنا تحريم البخل والطمع، حيث يريد صاحبهما أن يأخذ من الناس، وألا يعطي أحداً. وهذا لا يكون إلا من نفسٍ تجردت من العفة والمروءة والعدل. فإن كان للمرء شيء من الحقوق أراده وقاتل عليه ولو كان شيئاً زهيداً، إما إن كان عليه قنطار من الواجبات لم يرها شيئاً يذكر، وهو قمة في الظلم والوقاحة

د ـ التحذير من القيل والقال: وكثرة الجدل والخصام، والمراد تتبع أخبار الناس وأحوالهم للتحدّث بها وإشاعتها، والبوح بأسرار الناس التي يكرهون إذاعتها، وهذا النهي يتضمن حرمة النميمة والغيبة، والقيل والقال فيما لا فائدة فيهما ولا يعودان إلا بالإساءة والضرر وذلك من صفات المجرمين كما وصفهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٥]. أي كنا نتحدث بالباطل مع أهل الغواية والضلالة، ونقع معهم فيما لا ينبغي من الأباطيل[٣]. وفي الآية تحذير للذين يبادرون بالجواب في كل ما يسألون عنه من غير تثبت.

هـ ـ التحذير من كثرة السؤال: عمّا لا يعني الإنسان وعمّا لا فائدة منه. وهذه الكراهة من الضمانات التي اتخذها الإسلام لصيانة المؤمن عن النزق

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي ٣/ ١٥٥١.
(٢) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي ٦/ ٤٣٢.
(٣) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ٣/ ٤٨٠.

والهوى، وتحريمه الجدل وسدّه لأبوابه. أمّا السؤال عن العلم فهو أمر مرغوب ومطلوب. ويتضمن التحذير عن السؤال فيما يكره المسؤول الجواب عليه فيؤدي لسكوته فيجر الحقد أو يلجئه إلى الكذب. وكذا السؤال عن المسائل العلمية امتحاناً وإظهاراً للمراء وادعاءً وفخراً. كما يكره سؤال الناس المال والصدقة، لما في ذلك من إراقة ماء الوجه، وإذلال النفس.

و ـ التحذير من إضاعة المال: وذلك بالإسراف في إنفاقه[1]، أو إنفاقه في المعاصي مما يغضب اللَّه عزّ وجلّ، أو تعريضه للفساد واللَّه لا يحب المفسدين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وهذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق الذي هو منبع جميع الأخلاق الحميدة والخلال الجميلة[2]. هدانا اللَّه إليها.

(١) الإسراف في الإنفاق مسألة نسبية بين شخصٍ وآخر.
(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الحسين بن عبد اللَّه الطيبي ١٠/ ٣١٥٨.

الحديث التاسع عشر

مفاتيح للخير مغاليق للشر

عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنّ من الناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر. وإنّ من الناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير. فطوبى لمن جعل اللَّه مفاتيح الخير على يديه. وويل لمن جعل اللَّه مفاتيح الشر على يديه**». رواه ابن ماجه وأبو داود الطيالسي والبيهقي في شعب الإيمان.

المفتاح آلة لفتح الباب، والمغلاق ما يُغلق به، ومن الناس من أكرمه اللَّه فأجرى على يديه فتح أبواب الخير حتى كأنه ملكهم مفاتيح الخير ووضعها في أيديهم، (فطوبى) أي حسنى أو خير وهو من الطيب أي عيش الطيب لمن جعل اللَّه مفاتيح الخير على يديه (وويل) شدة حسرة ودمار، وهلاك لمن جعل اللَّه مفاتيح الشر على يديه. «**فالخير مرضاة اللَّه، والشر سخطه، فإذا رضي اللَّه عن عبد فعلامة رضاه أن يجعله مفتاحاً للخير، فإن رؤي ذكر الخير برؤيته، وإن حضر حضر الخير معه، وإن نطق نطق بخيرٍ، وعليه من اللَّه سمات ظاهرة، لأنه يتقلب في الخير بعمل الخير، وينطق بخير، ويفكر في خير، ويضمر خيراً فهو مفتاح الخير حسبما حضر، وسبب الخير لكل من صحبه، والآخر يتقلب في شرٍّ، ويعمل شراً، وينطق بشرٍّ، ويفكر في شرٍّ، ويضمر شراً، فهو مفتاح الشر، لذلك فصحبة الأول دواء والثاني داء**»[1].

صور لمن هم مفاتيح للخير:

أ ـ يروى عن أبي حنيفة ـ رحمه اللَّه ـ أنه خرج ليلة من صلاة العشاء وبغله في يده، فلقيه زفر ـ أحد فقهاء الكوفة ـ فكلمه في مسألة وظلّا يتحاوران حتى نودي لصلاة الفجر، فرجعا إلى المسجد للصلاة.

ب ـ عندما سئل الإمام الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ عن الدليل القرآني الذي يستند إليه في الأخذ بالإجماع لزم داره ثلاثة أيام، انقطع فيها للتفكير والتدبر، ثم خرج بعدها إلى الناس ومعه الدليل من سورة النساء: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي ٤/ ٢١٢١.

نَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

ج ـ أمام مطامع الصليبيين وطغيانهم في إسبانيا وخوفاً على المسلمين فيها قرّر المعتمد بن عباد أمير أشبيلية طلب المساعدة من سلطان مرَّاكش يوسف بن تاشفين فخوَّفه بعض حاشيته من أنَّ ابن تاشفين إذا دخل الأندلس سيطر عليها، فقال المعتمد بن عباد: (تاللَّه إنني لأوثر أن أرعى الجمال لسلطان مراكش على أن أغدو تابعاً لملك الصليبيين وأن أؤدي له الجزية، وإن رعي الجمال خير من رعي الخنازير).

صور لمن هم مفاتيح للشر:

أ ـ هناك من فتَّش في الكتب القديمة وعثر على رواية لابن عباس تتحدث عن نقابٍ لعينٍ واحدة وليس للاثنتين... فانحاز لهذا الرأي وليس له من عمل إلا هذه الدعوة...

ب ـ هناك من يؤلف ضد دوران الأرض حول الشمس... أو لا يعترف بكروية الأرض... ثم يدَّعي أنه يتبع الكتاب والسنة... وهو في هذا يمهد لتدمير الأمة.

ث ـ هناك من شغل نفسه وتفرّغ للدعوة إلى تحذير الناس من وضع الساعة في الرسغ الأيسر.. ولا بد من وضعها في الرسغ الأيمن.

في هذه الجبهة تجد الكثير من المقاتلين، أما على الجبهة الأخرى لدفع الظلم والعدوان والجهر بكلمة الحق، والتصدي للفساد السياسي والاجتماعي فالثغور لا يقف عليها إلا القليل.

لقد جفّ ريقنا من الأسى، فكيف تستفيق من دوار المحنة؟ وكيف نستطيع أن نقف صفاً واحداً ضد حرب الإبادة المسلطة علينا؟ وصدق المصطفى ﷺ بقوله: «**إن اللَّه تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفسافها**»[1].

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، والسيوطي في الجامع الصغير.

الحديث العشرون

نصيحة للمجاهدين

عن أنس بن مالكٍ رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**انطلقوا باسم اللَّه، وباللَّه، وعلى ملة رسول اللَّه، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأةً، ولا تَغُلُّوا، وضمُّوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن اللَّه يحب المحسنين**». رواه أبو داود.

(انطلقوا باسم اللَّه) أي مستعينين بذكر اسمه، و(ملة) أي دينه وشريعته، (ولا تقتلوا شيخاً فانياً) أي إلا إذا كان مقاتلاً أو ذا رأي. وقد صحَّ أمره عليه الصلاة والسلام بقتل دريد بن الصمة وكان عمره مائة وعشرين عاماً أو أكثر، وقد جيء به في جيش هوازن للرأي، (ولا امرأةً) أي إذا لم تكن مقاتلة أو ملكة (وضمُّوا) أي اجمعوا، (وأصلحوا) أي أموركم، و(أحسنوا) أي فيما بينكم.

وفي حديث آخر له ﷺ يقول: «**اغزوا باسم اللَّه وفي سبيل اللَّه، وقاتلوا من كفر باللَّه، اغزوا ولا تغدروا، ولا تغلّوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**»[1].

واستنبط أبو بكر الصديق رضي اللَّه عنه من هذه الأحاديث ما وجه به أسامة بن زيد رضي اللَّه عنهما يوم جهز الجيش استجابةً لوصية رسول اللَّه ﷺ فقال: «**لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلُّوا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً وتحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرُّون بأقوامٍ قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له**»[2].

* إن الحرب في الإسلام ليست لقهر الآخرين لتغيير دينهم، أو نهب ثرواتهم، أو جلد ظهورهم، أو للاستكبار في الأرض لغرض دنيوي، أو طمع استعماري، إنما الحرب في الإسلام لإزاحة الطواغيت الذين يقفون حائلاً بين الناس والحق، ولمكافحة البغي وردِّ العدوان والقضاء على

(١) رواه مسلم وأبو داود وأبو حنيفة في مسنده وأحمد بن حنبل.
(٢) الكامل في التاريخ، علي ابن الأثير ٢/ ٣٣٥.

الطغيان، خاصة مقاومة الاحتلال والاغتصاب لإعادة الحق إلى أصحابه.

* يشير الحديثان إلى رحمة الإسلام، وأن الحرب تكون ضد حملة السلاح، ولا تتجاوزهم إلا للضرورة.

* الحرب في الإسلام وسيلة وليست غاية، لذا شرع الإسلام آداباً وقيماً للحرب، من رحمة للآخرين من قوم أعدائهم كالشيوخ والأطفال والنساء، وشرع لأبنائه المسلمين فأمرهم بأن لا يتنافسوا على جمع الغنائم أو يتهالكوا عليها، وأمر بجمع الغنائم وتوزيعها كما أراد اللَّه، ثم طلب الإحسان إلى العدو والمحارب والصديق المجاهد، لذا لم يكن جنود الإسلام عبر تاريخه إلا دعاة خير وهداية.

* إن نصوص الإسلام واضحة في ترجيح السلم على الحرب، قال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾ [النساء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

واعتبر القرآن الكريم صلح الحديبية فتحاً مبيناً. ويقول المصطفى ﷺ: «**دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم**»(١). وفي حديث آخر له ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا اللَّه العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا وأكثروا ذكر اللَّه فإن أجْلَبُوا وصيَّحوا فعليكم بالصمت**»(٢). وبالرغم من هذا فإن الحرب في الإسلام ليس فقط دفاعاً أو ردّ عدوان، بل القتال له صور متعددة منها:

«ـ قد تكون الوسيلة لظرف ما، المسالمة وبث النصيحة والتعليم والإرشاد وعندئذٍ لا يفسر الجهاد إلا بذلك.

ـ وقد تكون الوسيلة، بظرف آخر، الحرب الدفاعية مع النصح والإرشاد والتوجيه، فهذا هو الجهاد المشروع حينئذٍ.

ـ وقد تكون الوسيلة المتعينة، لظرف آخر، الحرب الهجومية، فهي عندئذٍ ذروة الجهاد وأشرفه... وهذا يعني أن جميع هذه الوسائل الثلاث مشروعة في تحقيق الجهاد»(٣).

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والسيوطي في الجامع الصغير.

(٢) رواه البخاري وابن أبي شيبة والطبراني في المعجم الكبير.

(٣) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٣١٠.

الحديث الحادي والعشرون

نصيحة للمتخاصمين

عن أمِّ سلمة رضي اللَّه عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ أنه سمع خُصومَةً بباب حُجْرته، فخرج إليهم فقال: «**إنما أنا بشرٌ وإنه يأتيني الخصم، فلعلّ بعضَكُم أن يكون أبلغَ من بعض، فأحسِبُ أنه صدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحقِّ مسلم، فإنما هي قطعةٌ من النار فليأخُذْها أو ليترُكْها**». رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وأبو داود.

الخصومة: هي الجدل والتشاحن.

حجرته: غرفته التي هي هنا مسكن أم سلمة رضي اللَّه عنها.

أبلغ: من البلاغة، أي إظهار المعنى في أحسن صورة من اللفظ.

* قال الإمام النووي: «**فإن قيل: هذا الحديث ظاهره أنه قد يقع منه ﷺ في الظاهر مخالف للباطن، وقد اتفق الأصوليون على أنه ﷺ لا يُقرُّ على خطأ في الأحكام، فالجواب أنه لا تعارض بين الحديث وقاعدة الأصوليين، لأن مراد الأصوليين فيما حكم فيه باجتهاده، فهل يجوز أن يقع فيه خطأ؟ فيه خلاف، الأكثرون على جوازه، ومنهم من منعه. فالذين جوَّزوه قالوا: لا يُقرُّ على إمضائه، بل يعلمه اللَّه تعالى به، ويتداركه. وأما الذي في الحديث فمعناه إذا حكم بغير اجتهاد كالبيِّنة واليمين فهذا إذا وقع منه ما يخالف ظاهره باطنه لا يسمّى الحكم خطأ، بل الحكم صحيح بناء على ما استقر به التكليف، وهو وجوب العمل بشاهدين مثلاً، فإن كانا شاهدي زور أو نحو ذلك فالتقصير منهما وممن ساعدهما، وأما الحكم فلا حيلة له في ذلك، ولا عيب عليه بسببه بخلاف ما إذا أخطأ في الاجتهاد، فإنّ هذا الذي حكم به ليس هو حكم الشرع. واللَّه أعلم**»[1].

* في رواية للإمام أبي داود: «**فبكى الرجلان وقال كل واحدٍ منهما: حقي لك، فقال لهما النبي ﷺ: أما إذا فعلتما ما فعلتما فاقتسما وتوخَّيا الحق ثم استهما ثم**

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، المكتبة العصرية ٤/ ٣٧٢.

تحالًا»[١]. ما أنبل هؤلاء الصحابة وما أزكى نفوسهم! وفي سيرتهم رضي اللَّه عنهم الكثير من هذه القصص الدالة على صدق إيمانهم، وطهارة نفوسهم، وخيريتهم، وفي قصة الصديق رضي اللَّه عنه مع مسطح بن أثاثة ابن خالته عندما حلف أن لا ينفعه بنافعة أبداً بعدما قال في عائشة رضي اللَّه عنها ما قال وذاك بعد أن أُنْزِلت براءة السيدة عائشة رضي اللَّه عنها وطابت النفوس وتاب اللَّه على من تكلم من المؤمنين في ذلك، تفضل الصديق على قريبه مسطح وكان مسكيناً لا مال له، فقال بعدما سمع قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] أي فكما تصفح عن الآخرين وتغفر لهم، يصفح اللَّه عنك ويغفر لك. قال: «**بلى واللَّه نحب أن تغفر لنا ربنا**».

* قوله ﷺ: «**فليأخذها أو ليتركها**». أي ليتركها، فالأمر هنا للتهديد والوعيد وليس للتخيير بين الأخذ والترك. قال النووي: (ليس معناه التخيير، بل هو التهديد والوعيد كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] وكقوله سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠][٢]. وهو أيضاً كقول المصطفى ﷺ: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[٣]. والمعنى: إذا لم يكن لك حياء فاعمل ما شئت فاللَّه يجازيك عليه.

* أقول: المصطفى ﷺ كان خير خبير في نفوس البشر وما يعتريها من أهواء ونزغات وميولٍ وخبايا لا يعلمها إلا صاحبها... لذا كان ﷺ خير مرشدٍ وهادٍ إلى الحق والعدل والرشاد، وفي الحديث إشارة إلى ذلك، أليس قوله: «**لعلَّ بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق، فأقضي له بذلك**» خير دليلٍ على أن حجة اللسان أحياناً تخفي حقيقة الأمر، وأن المظلوم قد لا يصل إلى حقه لضعفه وضعف بيانه وحجته ومنطقه؟ لكن اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥].

---

(١) سنن أبي داود، دار الفكر ص ٦٧٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، المكتبة العصرية ٤/ ٣٧٢.

(٣) رواه البخاري.

الحديث الثاني والعشرون

لا تجعلوا اللَّه عرضةً لأيمانكم

عن عائشة رضي اللَّه تعالى عنها قالت: سمع رسول اللَّه ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما وإذا أحدهما يستوضعُ الآخر ويسترفقه في شيء وهو يقول: واللَّه لا أفعل، فخرج عليهما رسول اللَّه ﷺ فقال: «**أين المتألِّي على اللَّه لا يفعلُ المعروف**» فقال: أنا يا رسول اللَّه وله أيُّ ذلك أحبَّ. رواه البخاري ومسلم.

يستوضع الآخر ويسترفقه: أي يطلب إسقاط شيءٍ من الدَّين أو الرفق في الاستيفاء والمطالبة.

المتألِّي: الحالف المبالغ في الحلف.

هذه الحادثة حصلت في بيت عائشة رضي اللَّه عنها، فقد جاء خصمان وقد ارتفعت أصواتهما وهما يتجادلان ويتخاصمان في دَيْنٍ حيث يطالب الدائن بحقه بينما المدين يطالبه أن يحط عنه بعضاً من دَيْنِهِ أو أن يترفق في المطالبة، إلا أن الدائن يأبى ذلك ويقسم باللَّه تعالى أنه لن يفعل من ذلك شيئاً، فيتدخل المصطفى ﷺ بينهما ليعلم مَنْ ذا الذي يقسم على اللَّه تعالى أن لا يصنع المعروف مع أخيه؟ فيسمع الدائن كلام المصطفى ﷺ فينتبه لمقولته ثم يعلن حنثه بيمينه مخيّراً المدين ما يحب من إسقاط بعض الدين أو إمهاله.

وقد نهى اللَّه سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يجعلوا الحلف به مانعاً من فعل الخير وذلك كأن يحلف العبد أن لا يتصدق على فلان أو أن لا يصلح بين اثنين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

كما أنَّ على الناس أن يتوقفوا عن الحلف في القضايا الصغيرة فينزهوا اسم اللَّه سبحانه وتعالى عن الأمور الهامشية التي ليس لها شأن، وهذا يدخل في مفهوم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

إن الوفاء باليمين واجب إلا إذا رأى الحالف بعد اليمين ما هو خيرٌ فيدع

الوفاء ويأتي بالأمر الآخر وهذا من سماحة الإسلام ويسره، يقول النبي ﷺ: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفّر عن يمينه وليأت الذي هو خير**»(١).

ثم إن التيسير على المعسر أمر مرغوب وله أجر كبير، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ويقول النبي ﷺ: «**من أنظر معسراً ووضع عنه أظله اللَّه في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلّه**»(٢).

وفي حديث آخر له ﷺ: «**من أنظر معسراً كان له بكل يومٍ صدقة**».

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

الحديث الثالث والعشرون

السماحة في البيع والشراء والاقتضاء

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**رحم اللَّه رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**». رواه البخاري والترمذي وابن ماجه.

«**رحم**» دعاء من النبي ﷺ بالرحمة للرجل السمح السهل في ثلاثة أمور: في البيع والشراء والاقتضاء. والسماحة في البيع تكون بعدم المغالاة في الربح، والتيسير في البيع ما لم يكن في ذلك ضرر عليه، والبعد عن الشحِّ في المعاملة، وحسن الأداء والمعاملة، والحرص على أن يكون النفع للطرفين، ومن صور السماحة ترجيح كفة الوزن للطرف الآخر...

والسماحة في الشراء تكون في الكياسة حيث لا يدقق في السلع الهينة، ولا يبخس السلع حقها، ولا يتعب البائع بالأخذ والردّ فيعطله عن زبائنه ومصالحه، وفي مجتمعاتنا صور متعددة لا تليق بأصحاب النفوس السمحة حبذا لو أقلعنا عنها منها: هناك من يحلف باللَّه ليتمَّ قبوله في عملٍ ما، وبعد مزاولة العمل إذا هو سيّئ غير أمين... هناك من يقيم المحل ويقعده بحجة البحث عن ثوبٍ يعجبه، ثم يخرج دون أن يشتري، حتى من غير أن يعتذر لهذا المسكين الذي أتعب نفسه، لا شك أن هذه التصرفات تؤدي إلى الخصام والنزاع بين الناس، ورسول اللَّه ﷺ حريص علينا رؤوف بنا لذا يعلمنا السماحة والسهولة واللين والرفق في البيع والشراء.

أما السماحة في الاقتضاء أي السماحة في المطالبة بالحق أو الدين من غير عنفٍ ولا شدّة، وإن كانت حال المطالب لا تسمح بالسداد وهو صادق في ذلك فنظرة إلى ميسرة...

ومن السماحة المطلوبة، عدم المطالبة على مشهد من الناس إلا أن يكون صاحب الحق مظلوماً كما قال تعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

ومن السماحة في الاقتضاء أيضاً ألا يرفع أمره إلى القضاء وهو مستعد للدفع في وقتٍ قريب. ومن الصور التي تخالف آداب الإسلام وتعاليمه حرص الناس على جمع المال وأخذه من الآخر بغير حق، وكثير من الناس يزعم أنه على حق يريد المال ولا يأبه لرأي الشرع، وأعراف الناس، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه...

هذه السماحة التي يعلمنا إياها رسول اللَّه ﷺ، كان سبّاقاً إلى تنفيذها. فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً، ثم قال: أعطوه سِنّاً مثل سنه**[1]. **قالوا: يا رسول اللَّه لا نجد إلا أمثلَ من سِنِّه فقال: أعطوه، فإن خيركم أحسنُكم قضاء**»[2].

ومن نتائج هذه السماحة وثمارها يرسم لنا النبيُّ ﷺ مشهداً من مشاهد يوم القيامة فيقول: «**حوسب رجلٌ ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان رجلاً موسراً وكان يخالط الناس، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، فقال اللَّه عزّ وجلّ لملائكته: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه**»[3].

(١) أي جملاً مثل الذي له.
(٢) رواه البخاري ومسلم مع اختلاف يسير في اللفظ.
(٣) رواه مسلم والترمذي وأحمد بن حنبل.

الحديث الرابع والعشرون

الإحسان على كل شيء

عن أبي يَعْلى شدادِ بنِ أوْس رضي اللَّه عنه، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن اللَّه كتب الإحسانَ على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبحة، وَلْيُحِدَّ أحدُكم شفرته، وليرح ذبيحته**».

رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وخرّج الطبراني في الأوسط أن النبي ﷺ قال: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن اللَّه محسن يحب المحسنين**».

هذه تعاليم الوحي، ورحمة الأنبياء، وقمة الارتقاء بالمشاعر البشرية.

إنها الرحمة التي لا تقف عند البشر، بل ترتقي لتشمل كل الكائنات الحية. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، فقال النبي ﷺ: «**والشاة إن رحمتها رحمك اللَّه**»[1].

ومفهوم أن تقول لي: لا تقتل هذا العصفور، فإنه ضعيف مسكين، وهو جميل لطيف لا يستحق القتل.

ومفهوم أن تقول لي: لا تقتل هذه الفراشة الطائرة القافزة الرشيقة، فإنك لن تستفيد شيئاً من قتلها، وهي في رشاقتها اللطيفة جمال يحسن أن تمتع به حسّك وروحك.

بل مفهوم أن تقول لي: لا تقتل هذه الزهرة الجميلة ـ حتى إن كانت لا تتألم للقتل ـ فهي على غصنها هكذا جميلة... أجمل منها في يدك أو في عروة ثيابك.

كل ذلك مفهوم، والقلب البشري الطيب يمكن أن يوجه إليه في يسر، فيعتاده فيصبح من طباعه.

ولكنها درجة وراء هذا المفهوم ـ أعلى منه وأشفّ ـ أن أقول لك: هذه

(١) رواه أحمد في المسند والطبراني في الكبير.

الذبيحة التي ستذبحها، والتي لن تكون حية بعد لحظات. . . أحسن ذبحها ولا تطل آلامها ولا «**تمتها موتات**» كما ذكر البخاري في حديث قريب من هذا الحديث[١].

وليرح ذبيحته! إنها كلمة تهز الوجدان هزاً كلما تذكرها وتمثلها! و«ليرح» الحرص على إراحة الذبيحة وهي تذبح، وهي تساق إلى العدم، إلى الفناء، إلى حيث لا توجد ولا تشعر.

ما القيمة «**العملية**» لإراحة الذبيحة هذه الثواني المعدودة التي تنتقل فيها من عالم الوجود إلى عالم الفناء؟ بل ما قيمة إراحتها وأنت مقبل على إيلامها أشد ألم يمكن أن تتعرض له وهو الذبح؟

في الظاهر. . . لا شيء!

وفي الباطن. . . لا شيء!

إن الذبيحة ميتة ميتة أرحتها أم لم ترحها، وهي متألمة متألمة، سواء قطر قلبك رحمة بها أم كنت تذبحها مجرد القلب من المشاعر متبلد الوجدان، وهي لن تلقاك بعد اليوم فتشكو إليك عنفك معها، إن كنت ممن يفهمون عن هذه الخلائق، ويجاوبون ما يصدر عنها من الأحاسيس، ولن يضيرها كثيراً ـ وهي مسوقة إلى الفناء الكامل الوشيك ـ أنها ذاقت ـ قبل ذلك بلحظة ـ شيئاً من الغلظة أو شيئاً من الجفاء!

وإذاً فالقيمة العملية بالنسبة للذبيحة. . . لا شيء!

ولكن القيمة «**العملية**» لك أنت. . . كل شيء!

وهل ثمت شيء أكبر من أن يكون لك قلب إنسان؟![٢]

وأخيراً. . . إذا أحسّ الإنسان بهذا الإحسان، فاتجهت النفس إلى الإحسان، تهذبت المشاعر، وارتقى الإنسان، وتفاضل الأداء، واستقام السلوك.

---

(١) أتريد أن تميتها موتات؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها؟

(٢) قبسات من الرسول، محمد قطب، ص (٩٤ وما بعدها).

الحديث الخامس والعشرون

على كل مسلم صدقة

عن أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**على كل مسلم صدقة**». فقالوا: يا نبي اللَّه، فمن لم يجد؟ قال: «**يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق**». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**يعين ذا الحاجة الملهوف**». قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «**فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشرِّ فإنها له صدقة**».

رواه البخاري ومسلم والنسائي.

ـ تدرج هذا الحديث بأعمال الخير حتى انتهى إلى الحد الأدنى الذي لا عذر لأحدٍ في تركه. ألا وهو ترك الشر الذي لا مشقة عملية فيه، ولا كلفة مالية أيضاً.

ـ إن تصحيح مفهوم الصدقة عند الناس هو الهدف الأول من هذا الحديث، وهو لا يقتصر على المعنى المتعارف عليه، بل هو أكبر من ذلك وأوسع وأشمل، وباب الخير مفتوح، وباب الحسنات عند اللَّه لا ينفد.

يشير الحديث إلى جوانب الشفقة على الخلق، وذلك بإعانة صاحب الحاجة الملهوف والإمساك عن الشر، وبالدعوة إلى الأمر بالمعروف والخير بينهما، وهذه الدعوة ظاهرة في الحديث النبوي وهذه طائفة منها:

أ ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «**رحم اللَّه رجلاً سمحاً إذا اشترى وإذا اقتضى**»[1].

ب ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[2].

ج ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أُكل منه له صدقة، وما سُرق منه صدقة، وما أكل السَّبُعُ فهو له صدقة، وما أكلت الطيور فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحدٌ كان له صدقة**»[3].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه مسلم والحافظ المنذري في الترغيب والترهيب والسيوطي في زوائد الجامع الصغير.

د ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر**»(١).

هـ ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**»(٢).

و ـ قال رسول اللَّه ﷺ: «**الدال على الخير كفاعله**»(٣).

هكذا نرى الأحاديث النبوية تستنفرنا نحو عمل الخير والقيام بالمعروف وعمارة الأرض، وهذا سبب رئيس في رفع مستوى المجتمعات الإسلامية اليوم، فلو أخذنا بتطبيق هذه الإرشادات لخطونا خطوات رائدة في المسار الصحيح والسليم. وقد فتح الإسلام لنا أبواب الخير والمعروف كلها وربط ذلك بالخير الدنيوي والأجر الأخروي، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر: أداء الأمانة، تحريم الظلم، ستر عورات المسلمين، قضاء حوائج المسلمين، التعاون على البر والتقوى، الإصلاح بين الناس، ملاطفة اليتيم والإحسان إليه، حسن الجوار، صلة الرحم، الدلالة على الخير، كثرة طرق الخير، الاستقامة والمواساة، احتمال الأذى، الإعراض عن الجاهلين، طيب الكلام وطلاقة الوجه، تحريم الغيبة والنميمة، العمل الصالح، النهي عن إضاعة المال، أهمية الوقت، السماحة في البيع والشراء، الدعوة إلى العلم والعمل، الدعوة إلى النظر في السماوات والأرض، الدعوة إلى عمارة الأرض... وهكذا نجد أبواب الخير كثيرة وحبذا لو استطعنا تحويلها إلى دعوة عامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وربطناها بالثواب والعقاب، وساد بيننا نشر الدعوة بهذا الأسلوب حاملين على عاتقنا إصلاح مجتمعاتنا بهذه الطريقة مع إحسان العرض لهذه الدعوة حتى يتغيَّر الحال وتتبدل الأوضاع إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه البخاري وأحمد بن حنبل والسيوطي في الجامع الصغير.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان والهيثمي في مجمع الزوائد والألباني في السلسلة الصحيحة.

(٣) رواه الحافظ البزار والطبراني في المعجم الكبير والهيثمي في مجمع الزوائد والسيوطي في الجامع الصغير.

الحديث السادس والعشرون

لا تكونوا إمَّعة

عن حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تكونوا إمَّعة تقولون إن أحسن الناسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا**».

رواه الترمذي والبغوي في شرح السنة، والسيوطي في زوائد الجامع الصغير. الإمَّعة: هو الرجل الذي لا يثبت على رأي ويتبع رأي الآخرين، أو الذي يقول أنا مع الناس.

وطِّنوا أنفسكم: أي اتخذوا مواقف، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا، لأن عدم الظلم إحسان.

خاطب الإسلام العقل القويم والوجدان السليم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١]. وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ [يونس: ٣٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]. هذا الخطاب مِنَّةٌ من مِنن الإسلام في أعناق الخلائق إلى قيام الساعة إذ طالبهم بما لم يطالبهم به غيره.

طالبهم باحترام العقل، واحترام النفس، واحترام السمع والبصر، واحترام الحياة والوجود والتفكير...

ويصور لنا القرآن الكريم بعضاً من مشاهد الآخرة ومواقف الأتباع والمتبوعين في سورة البقرة وإبراهيم، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧]. ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ

عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [إبراهيم: ٢١].

ويتكرر المشهد في سورة سبأ وفي سورة غافر حتى يتبين لنا أن الضعفاء في النار مع الذين استكبروا، لم يشفع لهم أنهم كانوا ذيولاً وإمَّعات، ولم يخفف عنهم أنهم كانوا غنماً تساق! لا رأي لهم ولا إرادة ولا اختيار! لقد منحهم اللَّه الكرامة، كرامة الإنسانية، وكرامة التبعة الفردية، وكرامة الاختيار والحرية. ولكنهم هم تنازلوا عن هذا جميعاً. تنازلوا وانساقوا وراء الكبراء والطغاة والملأ والحاشية، لم يقولوا لهم: لا. بل لم يفكروا أن يقولوها، بل لم يفكروا أن يتدبروا ما يقولونه لهم وما يقودونهم إليه من ضلال... فهم في النار ساقهم إليها قادتهم كما كانوا يسوقونهم في الحياة سوق الشياه! ثم ها هم أولاً يسألون كبراءهم: «**هل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟**» كما كانوا يوهمونهم في الأرض أنهم يقودونهم في طريق الرشاد[1]. حتى فرعون وهو من هو بكفره وطغيانه وجبروته زعم أنه يقود قومه في طريق الرشاد: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

نعم لقد تنازلوا عن حريتهم وإنسانيتهم وكرامتهم وعزتهم تنازلوا عنها لأحزاب شلَّت تفكيرهم، ولأصحاب طرقٍ أعمت أبصارهم، ولقيادات ساقتهم إلى مآربهم الخاصة، ولزعماء شروهم بثمن بخس، ولفراعنة تجبروا وطغوْا وبغوْا عليهم، وقد أحسن الشاعر خليل مطران حين قال:

«ما كان كسرى» إذ طغى في قومه ... إلا لما خَلُقُوا به فعَّالا
هم حكَّموه فاستبد تحكُّماً ... وهم أرادوا أن يصولَ فصالا
والجهلُ داءٌ قد تقادم عهدُه ... في العالمين ولا يزالُ عضالا
لولا الجهالةُ لم يكونوا كلُّهم ... إلا خلائقَ إخوةً أمثالا
لكنَّ خفض الأكثرين جناحَهُم ... رفع الملوكَ وسوَّدَ الأبطالا
وإذا رأيت الموج يسفُلُ بعضُهُ ... ألفيت تالِيَهُ طغى وتعالا».

ولمعروف الرُّصافي في ديوانه تعبير قريب لهذه المعاني لكن بأسلوبٍ ساخرٍ عبَّرَ عن الحقيقة المرادة بأضدادها فقال:

«فارضوا بحُكم الدهر مهما ... كان فيه تحكُّمُ

(١) في ظلال القرآن سيد قطب ٧/ ١٨٧.

وإذا ظُلمتم فاضحكوا طرباً ولا تتظلَّموا
وإذا أُهنتم فاشكروا وإذا لطمتم فابْسِموا
إن قيل هذا شهدُكُم مُرٌّ فقولوا: علقم
أو قيل: إن نهاركم ليلٌ فقولوا: مظلِم
أو قيل: إن ثمادكم سيلٌ: فقولوا: مفعم[1]
أو قيل: إن بلادكم يا قومُ سوف تقسَّم
فتحمَّدوا وتشكَّروا وترنَّحوا وترنَّموا»

نعم لو نظرنا في واقعنا اليوم لرأينا العجب، إنَّ قول فرعون: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]. يتكرر في كل بلدٍ من بلاد المسلمين، والزعيم المُلهم عندنا لا يلِدُ إلا زعيماً ملهماً ـ هذا اكتشاف جديد في عالم الجينات والوراثة. وما على الأمة إلا التصفيق والهتاف، كأن أمتنا عاقر لا تلد أمثالهم، حتى بتنا نعيش من جديد زمن الزعيم الفلاني، ومن بعده ابنه، ومن بعده حفيده، ولا أحد منا يعرف عند أي حدٍّ تقف هذه السلسلة...؟ ما هذا السخف؟ كيف تتحكم عائلة بله رجل منها في مصير مجتمعاتنا على هذا النحو السيّئ؟

لقد حرَّم اللَّه على الإنسان توزيع تركته على هواه فجعل نظاماً للوراثة، فكيف يعمل هؤلاء على تقسيم الناس والأمم على أولادهم؟... هم حكَّموه فاستبد تحكماً...

ومن مفاهيم هذا الحديث ما أراده رسول اللَّه ﷺ لهذه الأمة، أن تكون أمة متميزة بشخصيتها وهويتها الحضارية والثقافية والسلوكية، لا تنساق وراء الدعاية والشائعات، لها من القيم والمفاهيم ما يحميها من الانزلاق في مواطن الفتن. وكم يؤلمني أن أرى اليوم أهل الدعوة يطالبون عناصرهم الذين ينتمون إليهم بحفظ الحديث النبوي: (اسمعوا وأطيعوا) تاركين الكفَّة الثانية: (لا تكونوا إمعة)ز فحبَّذا الجمع بين الحديثين حتى تتوازى كفَّتا الميزان، وتستقيم الرؤيا، ونكون على الطريق الصحيح.

وأخيراً نتذكر قول عمر بن الخطاب: «**متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً**». ولفولتير قول طيب نرحِّب به: «**إذا أردت إنهاض شعب علمه كيف يفكر**».

(١) الثماد: الماء القليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف، ومفعم: مليء.

الحديث السابع والعشرون

الحسد والبغضاء

عن الزبير بن العوام رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفس محمدٍ بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**».

رواه الترمذي وأبو داود وأحمد.

الحسد تمني زوال نعمة المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثل هذه النعمة.

وسبب الحسد كراهة المساواة، وحب التمايز على الآخرين.

وللحسد ألم وحسرة ولا يزيلهما إلا زوال النعمة عن المحسود.

والحسد لا يقع إلا في أمور الدنيا، فلسنا نرى أحداً يحسد صائم النهار أو قائم الليل أو قارئ القرآن، ولا على علم العلماء، بل الحسد يكون على الصيت والشهرة.

قال أحد الحكماء:

ألا قل لمن كان لي حاسداً ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على اللَّه في فعله ... لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عني بأن زادني ... وسدَّ عليك وجوه الطلب

فالحسد إذاً خُلُقٌ ذميم ليس فيه حرصٌ على الخير، بل فيه تمني زوال الخير عن الآخرين حتى يتساويا في العدم. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ [النساء: ٨٩].

ويقول أيضاً: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فالحاسد إذاً يحب انحطاط غيره حتى يساويه، أما المنافس فيحب لحاق من ينافسه أو يجاوزه في الفضل وهو أمرٌ مشروع لقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وكان عمر بن الخطاب يسابق أبا بكر الصديق رضي اللَّه عنهما كثيراً فلم يظفر يوماً بسبقة فقال: «**واللَّه لا أسابقك إلى شيء أبداً**».

فلا مانع إذاً من المنافسة إلى الكمال الذي تشاهده من غيرك فهذا من شرف النفس وعلو الهمَّة ومن الهداية والتوفيق والرشد.

الحديث الثامن والعشرون

المجاهد والعالم والمتصدّق

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن أوَّلُ الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استُشهد فأُتيَ به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهدتُ، قال: كذبتَ ولكنَّك قاتلت لأنْ يقال جريء فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجلٌ تعلَّم العلمَ وعلَّمه، وقرأ القرآن فأُتيَ به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُهُ وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ ولكنَّك تعلمتَ العلم ليقال عالم، وقرأتَ القرآنَ ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقيَ في النار، ورجلٌ وسَّعَ اللَّهُ عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه فأُتيَ به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك. قال: كذبت ولكنَّك فعلتَ ليقال هو جوادٌ فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه ثم ألقي في النار**».

رواه مسلم والنسائي وأحمد بن حنبل.

يقول الإمام النووي: «**قوله ﷺ في الغازي والعالم والجواد، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير اللَّه، وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته، وعلى الحثِّ على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾**[1] [البينة: ٥]».

هؤلاء الأصناف الثلاثة تركوا المعاصي الظاهرة وغفلوا عن قلوبهم فلم يمحوا منها الصفات المذمومة عند اللَّه، وغفلوا عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٩]. وأول هؤلاء الأصناف الثلاثة: رجل استُشهد في سبيل اللَّه في الظاهر وفي الحقيقة قاتل ليقال عنه جريء، وفي الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[2]. وفي رواية يقول اللَّه عزَّ وجلّ للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون**

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ٤٦.
(٢) رواه مسلم.

في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[١] وهذا الصنف وأمثاله ممن يشملهم قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. لذلك عندما سُئل رسول اللَّه ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه**»[٢]. وفي حديث آخر له ﷺ يقول: «**من سأل اللَّه الشهادة بصدق بلَّغه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[٣].

أما الصنف الثاني في الحديث: رجل تعلم العلم ليقال عالم، وقرأ القرآن ليقال قارئ، هذا هو الظاهر لنا، وفي الحقيقة العلم والقراءة ليقال عالم وقارئ وعن هؤلاء يتحدث الإمام الغزالي فيقول: «**الناس في طلب العلم ثلاثة: رجل طلبه ليتخذه زاداً إلى المعاد لم يقصد إلا وجه اللَّه فهذا من الفائزين، ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به الجاه والمال، ومع ذلك يعتقد خسّة مقصده وسوء فعله فهذا من المخاطرين، فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه سوء الخاتمة، وإن وفق لها فهو من الفائزين، ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع وهو مع ذلك يضمر أنه عند اللَّه بمكان لاتسامه بسمة العلماء فهذا من الهالكين المغرورين**»[٤].

وقد خوَّفنا رسول اللَّه ﷺ في عدة أحاديث أن يكون العلم لغير اللَّه فيقول: «**من تعلم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله اللَّه جهنم**»[٥]. وفي حديث آخر: «**من تعلم علماً مما يُبْتغى به وجه اللَّه عزّ وجلَّ لا يتعلَّمُهُ إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة**»[٦].

لذا يرجى عند طلب العلم تصحيح النية والمجاهدة على الإخلاص ابتغاء رضوان اللَّه.

أما الصنف الثالث في الحديث: رجل أنفق المال في سبيل اللَّه في الظاهر، وفي الحقيقة أنفق ليقال عنه جوَّاد. لذا جاء في الحديث الصحيح عن السبعة

---

(١) رواه أحمد بن حنبل.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين، أبو حامد الغزالي، ص ١١.
(٥) رواه ابن ماجه.
(٦) رواه أبو داود وابن ماجه.

الذين يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله: « . . .**ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله** . . . » [1] وفي القرآن الكريم ثناء على من أنفق ماله بالليل والنهار سراً وعلانية لأنه ينفق ابتغاء رضوان اللَّه، لقد تساوى عنده الإنفاق بالليل والنهار فهو لا يأبه إذا عرف الناس ذلك أم لم يعرفوا، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

(١) رواه مسلم.

الحديث التاسع والعشرون

صدقة بيد سارق وزانية وغني

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**قال رجلٌ: لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فَوَضَعَها في يدِ سارق، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ على سارق، فقال: اللَّهم لك الحمد، لأتصدقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فَوَضَعَها في يدَيْ زانيةٍ، فأصبحوا يتحدَّثون: تُصُدِّقَ على زانيةٍ، فقال: اللَّهم لك الحمد على زانيةٍ لأتصدقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يد غنيّ، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدِّق على غني، فقال: اللَّهم لك الحمد على سارق، وعلى زانيةٍ، وعلى غنيّ، فأُتيَ، فقيل له: أما صدقتُك على سارق: فلعله أن يستعفَّ عن سرقته، وأما الزانية: فلعلها أن تستعفَّ عن زناها، وأما الغنيُّ: فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه اللَّه**».

رواه البخاري ومسلم والنسائي.

١ ـ قال الإمام الطيبي: (تصدق الليلة على سارق[١] إخبار في معنى التعجب، أو الإنكار. وقوله: «**اللَّهم لك الحمد على سارق**» أي على تصدقي على سارق. إما وارد شكراً أو تعجباً، أما الأول: فأن يجزي الحمد على الشكر. وذلك أنه لما جزم على أن يتصدق على مستحق ليس بعده بدلالة التنكير في «**صدقة**»، وأبرز كلامه في معرض القسيمة تأكيداً وقطعاً للقول به، فلما جوزي بوضعه على يد سارق حمد اللَّه، بأنه لم يقدر أن يتصدق على من هو أسوأ حالاً من السارق. وأما الثاني فأن يجزي الحمد على غير الشكر، وأن يعظم اللَّه تعالى عند رؤية العجب، كما يقال: سبحان اللَّه عند مشاهدة ما يُتعجب منه، وللتعظيم قرن به لفظة «**اللَّهم**» فكما تعجبوا من فعله، قالوا: «**تُصُدِّق الليلة على سارق**» تعجب من فعل نفسه وقال: «**الحمد للَّه على سارق**» أي أتصدقت على سارق ولذلك سلَّى[٢] بقوله: «**أما صدقتك على سارق فلعله يستعف عن سرقته**». قولُهُ: «**فأتي**» أي فأري في المنام. قوله:

(١) هكذا رواها الإمام مسلم بزيادة «الليلة».
(٢) أي كشف عنه الهمّ.

«**يعتبر**» أصل العبر: تجاوز من حال إلى حال، والاعتبار والعبرة بالحال التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، يريد أن الغني إذا نظر إلى تصدقه، اقتدى به وتجاوز عما كان فيه من صفة البخل إلى صفة السماحة)[١].

٢ ـ يوضح لنا الحديث أن الثواب في الصدقة على السارق والزانية والغني ثابت وللمتصدق الأجر في ذلك. وهذا يكون في صدقة التطوع، أما في الزكاة فلا يجوز إخراجها إلى غنيّ.

٣ ـ قوله ﷺ: «**فأتي**» أي فأُري في المنام، ورؤيا غير الأنبياء وإن كان لا حجة فيها، لكننا نحتجُّ بالاستدلال بها هنا في تقرير المعنى، لأن النبي ﷺ قد أقرَّها هنا.

٤ ـ لا خلاف أن الثواب والأجر في الصدقة من اللَّه عز وجل، لا من السارق ولا الزانية ولا الغني ولا الفقير ولا من غيرهم، ولكل إنسانٍ ما نوى، طالما كانت النية ابتغاء رضوان اللَّه فلا حرج، وكم نرى في مجتمعاتنا صوراً مخالفة لهذا الحديث النبوي، فنرى أن هذا لا يريد أن يتصدق على جاره لأن أخاه غني، فلماذا لا يساعده أخوه؟ وذاك لا يريد أن يتصدق على فقيرٍ لأنه أضاع ماله من غير حساب، فكان ينفق بلا حسيب ، حتى تبدلت الأيام وتغيرت الظروف فأصبح معدوماً لا يملك قوت يومه، فلماذا لم يعمل حساباً لظروف الدهر ومداولة الأيام؟ ونرى آخر لا يريد أن يتصدق على قريب له لأن زوجته ـ الفقير ـ ليست على هوى زوجته ـ المنفق ـ، وهكذا تتكاثر النماذج الشبيهة لمثل هذه الصورة ولست أدري، هل هذا المتصدق يريد أن يتصدق على ذي الحاجة ويأخذ الأجر والثواب من اللَّه عز وجل؟ أم أنه يريد أخذ الأجر ممن هو بحاجة إلى الصدقة؟ أم يريد محاسبة أصحاب الحاجة ـ أساؤوا أم أصابوا ـ؟ وفي الحديث المشهور: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[٢]. وفي الحديث عن أبي يزيد معنِ بن الأخنس رضي اللَّه عنهم ـ وهو وأبوه وجده

(١) شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح، الحسين بن محمد الطيبي ٥/ ١٥٣٢.
(٢) رواه البخاري.

صحابيون ـ قال: كان أبي ـ يزيد ـ أخرج دنانير يتصدق بها، فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها فأتيته بها فقال: واللَّه ما إياك أردتُ، فخاصمته إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: «**لك ما نويت يا يزيد ولك ما أخذت يا معن**»[1].

(١) رواه البخاري.

الحديث الثلاثون

خصوم النبي ﷺ يوم القيامة

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**قال اللَّه تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُعطِهِ أجره**».

رواه البخاري وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

الخصم هو المنازع، وأعطى بي ثم غدر أي أعطى يمينه بي أي عاهد وحلف باللَّه، ثم لم يفِ بل نقض العهد والحلف.

إن اللَّه سبحانه وتعالى خصم لجميع الظالمين، إلا أن اللَّه عز وجل صرح هنا بخصومة هؤلاء.

إن الوفاء باللَّه مرتبط بالتقوى، ومن ثم لا يتغير في التعامل مع عدو، أو صديق أو ذمي، لأن المسألة لا ترتبط بالمصلحة، إنما القضية تعامل مع اللَّه. فالذين يخالفون العهد ويغدرون بالأمانة لا خلاق لهم ولا نصيب لهم في الآخرة. والعهود التي يرتبط بها المسلم درجات، أعلاها عهده مع اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

وهذا العهد هو الميثاق الذي أخذه اللَّه على الناس جميعاً. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۞ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٥].

ووفاء الإنسان بهذا العهد أساس كرامته في الدنيا وسعادته في الآخرة.

ويوصي الإسلام باحترام العقود، وأخص هذه العقود بالوفاء عقود الزواج والعقود التي فيها التزامات مالية. ففي الحديث: «**إن أحق الشروط أن توفوا به ما**

استحللتم به الفروج»[١]، وفي الحديث أيضاً: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى اللَّه عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه اللَّه**»[٢].

أما من باع حراً وأكل ثمنه فاعلم أن بيع الحر ممنوع، وبيعه يؤدي إلى منعه التصرف فيما أباح اللَّه له، ويقول ابن الجوزي: «**الحرُّ عبد اللَّه، فمن جنى عليه فخصمه سيده**».

وروى العسقلاني عن ابن المهلب: «**وإنما كان إثمه شديداً لأن المسلمين أكفاء في الحرية فمن باع حراً فقد منعه التصرف فيما أباح اللَّه له، وألزمه الذل الذي أنقذه اللَّه منه**»[٣].

والصورة الثالثة: «**رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطِهِ أجره**». عمل الأجير المؤمن بإخلاص عبادة وأمانة، وهو ينتظر الأجر جراء ما عمل، يقول المصطفى ﷺ: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفَّ عرقه**». وهذا الحديث حافز لدفع عجلة الإنتاج قُدُماً وتحسين أوضاع الناس وتطور المجتمعات، كما يعلمنا الحديث ويرشدنا إلى ترك الظلم وأكل حق الغير بغير وجه حق. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

(١) رواه أحمد بن حنبل والبيهقي في السنن الكبرى والسيوطي في الجامع الصغير.
(٢) رواه البخاري وابن ماجه.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ٤/ ٣٣١.

الحديث الحادي والثلاثون

الحذر والحيطة والأخذ بالأسباب

عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أطفئوا المصابيح إذا رقدتم، وأغلقوا الأبواب، وأوكوا الأسقية، وخمِّروا الطعام والشراب ـ وأحسبه قال ولو بعودٍ تعرضُهُ عليه**». رواه البخاري.

يعلّمنا المصطفى ﷺ الحيطة والحذر لا سيما في بيوتنا التي فيها أهلنا ومتاعنا. وكان ﷺ شديد الحرص على هداية أمته وصلاحها وترشيدها كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

إن أوّل هذه التعليمات: إطفاء المصابيح عند النوم، ويشبهه في يومنا هذا قطع التيار الكهربائي، وإطفاء نار الفحم، والتأكد من إغلاق مفاتيح عبوات الغاز وما شابه ذلك، وفي حديث له ﷺ: «**لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون**»[1]. ـ اللَّهم إلا إذا كان هناك مصلحة في ترك ذلك فلا حرج عندها ـ.

وثاني هذه التعليمات: إغلاق الأبواب ليلاً، وفي هذا ما يمنع دخول الحيوانات واللصوص إلى المنازل، وفي هذا أيضاً سدُّ الطرق في وجه العابثين والمفسدين والحفاظ على ما في داخل البيت، وإذا كان النهي عن المنكر واجباً فالحيلولة بينه وبين من رامه لازمة، ومن الحيلولة سدُّ الطريق على المعتدين واللصوص بإغلاق الباب.

وثالث هذه التعليمات ورابعها: إيكاء الأسقية التي فيها الماء، وتغطية

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

الأوعية التي فيها الأطعمة والأشربة، ففي ذلك وقاية من الوباء والجراثيم وصيانة من الحشرات والهوامّ، وفي ذلك بقاء الأطعمة والأشربة سليمة بعيدة عن النجاسات والقاذورات فربما وقع شيء منها فشربه وهو غافل فيتضرر به.

وبعد... فإن الليل كثير المخاطر، وهناك من لا يحسن الاحتراس، ولا يأخذ الحذر، فيعلمنا الحديث ويرشدنا أن تحقيق المصالح الدنيوية أمر مطلوب.

الحديث الثاني والثلاثون

رجال في آخر الزمان

عن أبي هريرة وعبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهم قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يكون في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يَلْبِسُونَ للناس جُلودَ الضَّأنِ من اللِّين، ألسنَتُهُم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوبُ الذئاب، يقول اللَّه تعالى: أبي تَفتروُن أم عليَّ تجترئون؟ فبي حَلَفْتُ لأبعثنَّ على أولئك فتنةً تذرُ الحليمَ فيهم حيران**». رواه الترمذي.

يدعو الحديثُ المؤمنَ أن لا يكتفي بصدق العاطفة والمشاعر الدينية وظاهر الأمور، فلا بد من الحنكة والحكمة والفطنة وإعمال العقل ليتبيّن الخبيث من الطيّب والغثَّ من السمين. والحديث ينتهي بإبراز ضعف هؤلاء المخادعين المغترين إزاء انتقام العزيز الجبار بعذابهم العاجل في الدنيا ناهيك عن عذابهم الآجل في الآخرة.

ويلاحظ في الحديث استعمال الأفعال التي تصف هؤلاء الرجال المخادعين بكثرة فنجد: «**يكون، يختلون، يلبسون، تغترون، تجترئون**». هذه الأفعال تدل فيما تدل على كثرة مخادعتهم واحتيالهم وسوء أدبهم وتفنُّنهم في أسلوب غواية الناس وضلالهم وإضلالهم وفسادهم وإفسادهم وسوء طويتهم. ومن هنا نفهم قول المصطفى ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي كلّ منافقٍ عليم اللسان**». لذا علينا الحذر والانتباه ممن هم على هذا الوصف الوارد في الحديث النبوي الشريف، والأخذ بيد الأبناء كي يجتنبوا طريق هؤلاء الذين يلبسون جلود الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب. وفي التاريخ صور كثيرة وأمثلة متعددة لهؤلاء الناس نذكر بعضاً منهم على سبيل التنبيه والتبيين مثل:

ـ بهاء فريد النيسابوري الذي وضع كتاباً يأمر فيه أتباعه باستقبال الشمس عند السجود على ركبةٍ واحدةٍ.

ـ إسحاق التركي الذي زعم أن أبا مسلم الخراساني نبي مرسل من قبل زرادشت.

ـ سنباذ الذي غلب على كثير من بلاد خراسان وزعم أن أبا مسلم الخراساني حي لم يمت وإنما تحوّل إلى عامودٍ من نور.

ـ المقنع الخراساني الذي كان يخفي وجهه بقناع من ذهب ويضع على عينيه قطعة من حرير أخضر وأتى على الصلاة والصيام فأبطلهما وأباح الأموال والفروج.

ـ ساباتاي زفي اليهودي الذي ادّعى الإسلام بعدما ادَّعى أنه المسيح المنتظر وأثار الفتن في مناطق عديدة وأدخل أتباعه الإسلام في الظاهر وأطلق على أتباعه لفظ (الدونمة).

ـ محمد علي الشيرازي الذي ادّعى بأنه المهدي المنتظر وأن كلّ من لا يؤمن به فهو كافر ودمه مباح. ثم أطلق على دعوته اسم (البابية) فحسب زعمه أن الطريق إلى اللَّه تحتاج إلى واسطة وأنه هذه الوساطة.

وهكذا يحفظ لنا التاريخ في ذاكرته كثيراً ممن يدعون أقوالاً ويكتبون الكتب بأيديهم ثم يدّعون أنها من الشريعة الإسلامية والشريعة منها براء. والمجال هنا لا يسع أكثر مما ذكرنا إذ ليس تفصيل هذه المواضيع من مهمة هذا الكتاب وإنما ذكرت ما ذكرت من باب تسليط الضوء على بعضٍ من هذه الحركات الهدامة التي عملت أو تعمل في ضرب حصون الأمة من داخلها.

الحديث الثالث والثلاثون

ما الرويبضة؟

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعات، يصدَّقُ فيها الكاذب، ويكذّبُ فيها الصادق، ويؤتمنُ فيها الخائنُ وَيُخَوَّنُ الأمين، وينطِقُ فيها الرُّوَيْبضَةُ، قيل: وما الرُّوَيبضَةُ؟ قال: الرجل التافه يتكلمُ في أمر العامة**». رواه ابن ماجه وأحمد بن حنبل، والحاكم في المستدرك، والألباني في السلسلة الصحيحة والسيوطي في الجامع الصغير.

الرُّوَيْبِضَةُ تصغير الرَّابضة: هو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة.

التافه: الخسيس الحقير الخامل من الناس، وهو حين يعدُّ الرجال أصحاب المكانة والفضل لا يؤبه به.

يصف الرسول ﷺ تلك السنوات بالخدَّاعات، فالحالة يومها على غير طبيعتها، والوضع قد انقلب رأساً على عقب، حتى أصبح ينطق في شؤون العامة من لا يؤبه له، وهذا ما نراه اليوم على صفحات الجرائد والفضائيات، وواأسفاه على أجيال يتحدّث في أمورها العامة من الشؤون السياسية والاجتماعية والحربية والأمنية والتربوية والدينية والاقتصادية من شأنهم أقل من ذلك بكثير، فهم بمثابة الديناميت في البناء، والسمّ في الجسم، والقذى في العين. لكنها أطماع الناس في السلطة، وحماس الجهال فيما لا علم لهم به، وقصور العوام عن إدراك حقيقة الأشياء. حتى انقلبت الصورة فكان تصديق الكاذب، وتكذيب الصادق، وائتمان الخائن، وتخوين الأمين.

إن مظاهر الخداع كثيرة جداً حتى إنها تغطي أغلب مناحي الحياة، وسيكون الحديث على أربعة مظاهر منها:

١ ـ تسمية الأمور بغير مسمياتها: يقول المصطفى ﷺ: «**ليستحلَّنَّ طائفةٌ من أمتي الخمر باسمٍ يسمونها إياه**»[1]. وقد أطلق على الخمر اليوم أسماء كثيرة منها:

(١) رواه ابن ماجه وأحمد بن حنبل وابن حجرٍ في فتح الباري.

الويسكي والشمبانيا والبيرة. . . حتى سُميت (مشروبات روحية). والمسلمون للأسف سادرون في غفلة ساهون. وكثير منهم اتّبعوا الشيطان ومالوا عن الحق، وهذا أمر ينذر بالخطر فنسأل اللَّه الهداية والرحمة.

٢ ـ انقلاب الحقائق وانعكاس الأمور: فعن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنّ من أشراط الساعة أن يرفع العلم، وَيَثْبُتَ الجهل، ويُشربَ الخمر، ويظهر الزنا**»(١).

٣ ـ تقريب الحكام شرار الناس: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليأتينَّ عليكم أمراء يُقربون شرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونَنَّ عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً**»(٢).

وكلنا يرى اليوم أن الطبقة القريبة من الحكام ينطبق عليها ما وصفته النبوءة هذه، فهي طبقة من النفعيين والمطبِّلين ليس فيهم من أهل الخير إلا القليل.

٤ ـ حكّام مستبدون: إن الاستبداد السياسي هو الأرض الخصبة لزرع الفساد والانحطاط، ويكفي أمتنا ما لاقته في تاريخها من عصور الاستبداد وما زالت تحصده حتى اليوم، والخسارة فادحة لأن من بيده زمام الأمور غير ملزم برأي الغالبية.

إن معركة الإسلام الأولى كانت في مواجهة الوثنية وإسقاط العبودية لغير اللَّه، ومعركتنا اليوم في مواجهة الظلم والفساد لتحرير الإنسان وردّ كرامته إليه باعتباره مسؤولاً عن عمارة الأرض.

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي وأحمد بن حنبل.

(٢) رواه ابن حبان وأبو يعلى.

الحديث الرابع والثلاثون

لَتَتَّبِعُنَّ سنن من قبلكم

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جُحْرَ ضبٍّ لسلكتموه**»، قلنا: يا رسول اللَّه، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**». رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

سنن من قبلكم: أي طريق ومنهاج الأمم التي كانت قبلكم.

الضب: حيوان صغير طويل الذنب.

وقوله ﷺ «**فمن**» استفهام إنكاري، أي إن لم يكن المقصود اليهود والنصارى فمن المقصود غيرهم؟ أي ليس المقصود غيرهم.

المصطفى ﷺ ينبّه أصحابه ويخبرهم عن أمرٍ خطيرٍ سيقع لهذه الأمة في المستقبل. هذا الأمر هو الانحراف، وانتشار البدع إلى درجةٍ يعلو فيها صوت الشر ممّن امتلأت قلوبهم حقداً وغيظاً على الإسلام وأهله، يطالبون المسلمين بتقليد الآخرين تقليداً أعمى في كل مظاهر الحياة ولو كان أمراً تافهاً. وما نعيشه اليوم من دعوتنا إلى اتباع مظاهر الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية ليس ببعيدٍ عن هذا الحديث، بل هو صورة واقعية لمعنى الحديث.

والحقيقة أن الإسلام في عصرنا يواجه جهاتٍ متعددة كل منها أخذ على عاتقه أن يهدم جزءاً من الثقافة الإسلامية.

إن تقليد الآخرين بالقشور والهوامش والتوافه أمر يجهز على أمتنا وعلى حياتها، وهو أمر مرفوض. أما التقليد النافع لخدمة المعارف وتحسين الزراعة حتى تفيض الأرض بالخيرات، وإتقان الصناعة أمر مطلوب. فلننظر إلى واقع حالنا، بماذا نقلد الغرب اليوم؟ هل نقلدهم بالصناعات الثقيلة؟ كلا ولا حتى الخفيفة ـ هل نقلدهم بتحسين الزراعة؟ هل نقلدهم بالاكتشافات الطبية؟ أنظر هنا وهناك وهنالك فلا أرى إلا من يريد أن يأكل مما لا يعمل، ويلبس مما لا يخيط، إن أطالوا ثيابهم أطلناها، وإن قصروها قصرناها، وإن أحدثوا عيداً أحدثناه، وإن

شربوا الخمر شربناه، وإن دخلوا جحر ضبٍّ دخلناه. . . ليتنا نأخذ بأسباب الرقي والتقدم، ليتنا نقلدهم بالخير لا بالشر وبالنافع لا بالضار.

هذا الحديث لا يعني أن نستسلم للأمر الواقع وأن نعتبره قدراً لا مفرَّ منه ولا خلاص، بل يجب علينا أن نعمل جاهدين لتغيير الواقع المنحرف. يقول المصطفى ﷺ: «**كلّا واللَّه لتأمرُنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ولتأخذنّ على يدي الظالم، ولتأطِرُنَّهُ على الحق أطراً ولتقصرُنّهُ على الحق قَصْراً**»(١).

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

الحديث الخامس والثلاثون

المسائل كُدُوح

عن سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن المسائل كُدُوحٌ يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء كدح وجهه، ومن شاء ترك، إلا أن يسأل الرجلُ ذا سلطان، أو شيئاً لا يجد منه بدًّا**». رواه النسائي والترمذي وأبو داود.

المسائل أي سؤال الناس.

الكدوح أي الخدوش والجروح.

يسأل الرجل ذا سلطان: هو أن يسأله حقه من بيت المال الذي في يده. (حكاه السندي عن الإمام الخطابي).

حرصت الشريعة الإسلامية على أن تربِّي المسلم تربية صالحة مبنية على العزة والكرامة. قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. والشريعة الإسلامية لا تريد من المسلم أن يكون عالة على المجتمع، يمد يده للناس، لذا يقول المصطفى ﷺ: «**لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغني به عن الناس خير من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول**»[1]. واليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة.

والمصطفى ﷺ يشبه مسألة الناس بالجروح والخدوش، وفي هذا دفع للناس كي يبتعدوا عن المسألة، فمن ذا يحب أن يمشي بين الناس وهو جريح الوجه ينزف وجهه دماً؟...

إنَّ حديث: «**المسائل كدوح**» يبين أن السؤال يصيب الإنسان في كرامته وعزته، ولم يستثنِ من ذمِّ المسألة إلا حالتين:

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد بن حنبل.

الأولى: أن يسأل وليّ الأمر.

الثانية: أن يسأل عند الضرورة فيما لا بدّ منه.

والتسوّل وسؤال الناس يطلق عليه الإمام الغزالي في «**الإحياء**» لفظ الخسيسة، لأنه أكل ثمرات عمل الآخرين بالباطل، واحتيال لأخذ أموالهم بأنواع من الحيل والوسائل التي لا يقرُّها الشرع ولا العقل. روى الترمذي أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع** (شديد)، **أو لذي غرم مفظع** (دَين ثقيل)، **أو لذي دمٍ موجع** (دية باهظة)»[1].

يتبين لنا أن على كل فرد مسلم أن يسعى ويعمل بحثاً عن الرزق في خبايا الأرض وتحت أديم السماء بالزراعة أو الصناعة أو التجارة حتى يسدّ حاجته وحاجة من يعول دون مسألة الناس أو طلب الصدقة.

(١) رواه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

الحديث السادس والثلاثون

أصحاب الهمم العالية

عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنّما الناس كالإبل المائة. لا تكاد تجدُ فيها راحلة**». رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي.

الراحلة: ما يختاره الرجل لمركبه ورحله على النجابة وحسن المنظر. يقول الإمام ابن حجر العسقلاني: «**فالمعنى لا تجد في مائة إبل راحلة تصلح للركوب، لأن الذي يصلح للركوب ينبغي أن يكون وطيئاً سهل الانقياد، وكذا لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة بأن يعاون رفيقه ويلين جانبه**»[(١)]. وقال الإمام السندي: «**إنَّ المرضيَّ المنتجب من الناس في عزة وجودة، كالنجيب من الإبل**»[(٢)]. وقال الإمام النووي عن معنى الحديث: «**أنّ معناه المرضيّ الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار**»[(٣)].

يقول الشيخ محمد الغزالي: «**إنَّ الذين يعوَّل عليهم في اقتحام الصعاب وتحطيم العقبات وإدراك الغايات أندر ـ إلى حدٍّ بعيد ـ مما يفرضه حسن الظن وتوقع الخير. وما أحكم قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾** [الأنعام، ١١٦].

وإلى جانب قصور الهمم ووهن المناكب وضعف الإدراك وما إلى ذلك من رذائل العجز المبعثرة بين العامة والهمل، تجد رذيلة أخرى إذا لحقت بالأقوياء شانتهم وحطمتهم، وهي سوء النية، أو بتعبير أدق غش النية... إنّ الرجال الذين يسيئون في القليل لا ينبغي تصديقهم إذا أقسموا في الكثير. وهذا ما بدأت الآيات الكريمة تفيض فيه: ﴿۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٥٣] [النور، ٥٣].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١١/ ٢٨١.
(٢) سنن ابن ماجه ص ٩٠٤.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ٧٩.

نعم طاعة معروفة! إن المتكاسلين في الصلاة، الباخلين في الزكاة لا يقبل منهم حلف على الفداء والتضحية. إن الناكلين عن خدمة الحق بكلمة هادئة لا يحلفون على خدمته ببذل الدم... إن النفوس الدنيا لا يمكنها أن تقيم أحكام السماء ولا تستطيع ـ وهي مخلدة إلى الأرض ـ أن تستجيب لتعاليم الوحي أو تستقيم مع جوِّه النقي الطهور. أرأيت امرأً خليعاً يشرع دساتير الأدب ويطبقها؟ أرأيت امرأً خوَّاراً يشرع دساتير الكفاح ويؤججها؟ »[١].

وقد عبر أمير الشعراء في قصيدته « **الهمزية النبوية** » بما للعقل والنفس من خصائص وتمايز فقال:

لما دعوت الناس لبَّى عاقلٌ وأصمَّ منك الجاهلين نداءُ
أبَوا الخروجَ إليك من أوهامهم والناس في أوهامهم سُجناءُ
ومن العقول جداولٌ وجلامدٌ ومن النفوس حرائرٌ وإماء[٢].

ونحن بحاجةٍ إلى رجال وصفهم المتنبي بقوله:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم[٣]

والأمة الإسلامية اليوم أحوج ما تَحتاج إليه:

قادة تبني وتدافع،

وعلماء تدعو وتفكّر،

ورجال تعمّر وتتعلم،

ونساء تربي الأجيال،

وأطفال تترعرع على حبّ الإسلام وكره الظلم والاستبداد.

وفي الختام نذكر قول المصطفى ﷺ: « **إن اللَّه يحب معالي الأمور ويكره سفسافها** »[٤].

---

(١) من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، محمد الغزالي ص ٥ وما بعدها.
(٢) الشوقيات، أحمد شوقي ص ٣٦.
(٣) شرح ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في المعجم الكبير.

الحديث السابع والثلاثون

أيسر الأمرين ما لم يكن إثماً

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: «**ما خيّر رسول اللَّه ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول اللَّه ﷺ لنفسه إلّا أن تُنتهك حرمةُ اللَّه فينتقِمُ للَّهِ بها**». رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

معنى (إلا أن تنتهك حُرْمَة اللَّه) أي إذا انتهكت حرمة اللَّه وارتكبت المحرمات فإنه يغضب وينتقم وينتصر للَّه عزّ وجلّ.

كان الرسول ﷺ حريصاً على رفع الحرج والمشقة عن أمته، فكان إذا خير بين أمرين اختار الأسهل منهما. وقد تحدّث الدكتور القرضاوي عن هذا الموضوع فقال: دلّت النصوص من الكتاب والسنة أن التيسير والتخفيف أحبُّ إلى اللَّه تعالى وإلى رسوله ﷺ. يقول اللَّه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ويقول سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ويقول عزّ وجلّ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦] ويقول الرسول الكريم: «**خير دينكم أيسره**»(١)، «**أحب الأديان إلى اللَّه الحنيفية السمحة**»(٢). وروى جابر بن عبد اللَّه قال: كان رسول اللَّه ﷺ في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظُلِّل عليه، فقال: «**ما هذا؟**» فقالوا: صائم، فقال: «**ليس من البر الصيام في السفر**»(٣)... وعصرنا أكثر من غيره حاجة إلى إشاعة التيسير على الناس بدل التعسير، والتبشير بدل التنفير. ولا سيما من كان حديث عهد بإسلام، أو كان حديث عهد بتوبة... بل رأيناه ﷺ يُشدِّدُ النكير على من يُشدّدُ على الناس، ولا يراعي ظروفهم المختلفة... فقد أنكر على معاذ بن جبل تطويله القراءة في الصلاة، وقال له: «**أفتّان أنت يا معاذ؟ أفتّان أنت يا معاذ؟ أفتّان أنت يا معاذ**»(٤). وسيعترض كثير من الناس حول هذا الرأي رغم الدليل من

(١) رواه أحمد بن حنبل والطبراني في المعجم الكبير والأوسط الصغير.
(٢) رواه أحمد بن حنبل والطبراني في المعجم الكبير.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري، وللمزيد حول هذا الموضوع انظر كتاب «في فقه الأولويات» الدكتور يوسف القرضاوي ص ٨٧ وما بعدها.

الكتاب والسنة على صحته، وخير من عبر عن اختلاف الناس وطعن بعضهم لبعض الإمام ابن بطة كما نقل عنه الإمام الشاطبي فقال: «**فكنت على حالة تشبه حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه إذ حكى عن نفسه فقال: «عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقاً أو مخالفاً، دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله والشهادة له، فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك ـ كما يفعله أهل هذا الزمان ـ سماني موافقاً، وإن وقفت في حرفٍ من قوله أو في شيءٍ من فعله ـ سماني مخالفاً، وإن ذكرت في واحدٍ منها أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سماني خارجياً، وإن قرأت عليه حديثاً في التوحيد سماني مشبهاً، وإن كان في الرؤية سماني سالمياً، وإن كان في الإيمان سماني مرجئياً، وإن كان في الأعمال سماني قدرياً، وإن كان في المعرفة سماني كرامياً، وإن كان في فضائل أبي بكرٍ وعمر سماني ناصبياً، وإن كان في فضائل أهل البيت سماني رافضياً، وإن سكت عن تفسير آية أو حديثٍ فلم أجب فيهما إلا بهما سماني ظاهرياً، وإن أجبت بغيرهما سماني باطنياً، وإن أجبت بتأويل سماني أشعرياً، وإن جحدتهما سماني معتزلياً، وإن كان في السنن مثل القراءة سماني شفوياً، وإن كان في القنوت سماني حنفياً، وإن كان في القرآن سماني حنبلياً، وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحدٍ إليه من الأخبار ـ إذ ليس في الحكم والحديث محاباة ـ قالوا: طعن في تزكيتهم، ثم أعجب من ذلك أنهم يسموني فيما يقرؤون عليّ من أحاديث رسول اللَّه ﷺ ما يشتهون من هذه الأسامي، ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم أسخطت اللَّه تبارك وتعالى، ولن يغنوا عني من اللَّه شيئاً. وإني مستمسك بالكتاب والسنة وأستغفر اللَّه الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم»**. إذا كان هذا رأيهم في عصرهم، فكيف لو رأوْا حالنا اليوم[1]؟

(١) الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، ص ٢١ ـ٢٢.

الحديث الثامن والثلاثون

رفقاً في مديح الناس

عن أبي بكرة رضي اللَّه عنه قال: مدح رجلٌ رجلاً عند رسول اللَّه ﷺ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ويحك! قطعت عنق صاحبك مراراً**» ثم قال: «**إن كان أحدكم مادحاً أخاه فليقل: أحسبُهُ ولا أزكي على اللَّه أحداً**».

رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

قطعت عنق صاحبك، أي أهلكته، لأن من يقطع عنقه يهلك.

* قال الإمام النووي: «**ذكر مسلم في هذا الباب ـ باب النهي عن المدح ـ الأحاديث الواردة في النهي عن المدح، وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصحيحين بالمدح في الوجه. قال العلماء: وطريق الجمع بينهما أن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه الفتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح. وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحباً. واللَّه أعلم**»[1].

* حذّر الحديث من أمرين:

أ ـ الثناء من غير دليلٍ ويقين بل على ظاهر الأمر من غير تحقيق.

ب ـ المبالغة في الثناء حتى يخرج بصاحبه عن الحدود الشرعية.

* إن المبالغة في المدح ظاهرة مرضية في جسم المجتمع والأمة، وفي عصرنا هذا ابتلي العاملون للإسلام على اختلاف حركاتهم وتجمعاتهم بهذا الداء الذي نهى عنه رسول اللَّه ﷺ، فتراهم إذا ما أعجبوا بشخصٍ ما يمدحونه ويبالغون في مديحه لأنه يعمل معهم وتحت رايتهم و«**حزبيتهم**»، وويل له إذا ما خرج عن هذا الخط «**الطريقة**» أو خرج عن الانتماء «**الحزبي**» فقد أتى ـ حسب زعمهم ـ بالمنكر القبيح، فإذا من كان بالأمس مخلصاً أصبح اليوم منافقاً، ومن

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٦/ ٤١٧.

كان عفيفاً أصبح عميلاً، ومن كان بارًّا أصبح عاقًّا، إلى آخر هذه الكلمات التي لا حاجة لنا بها، وقد أراحنا منها المصطفى ﷺ بقوله: « **أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما** »[1].

(١) رواه الترمذي والطبراني في المعجم الكبير والدارقطني في السنن.

الحديث التاسع والثلاثون

عجوز تبتغي رضوان اللَّه

عن سهل بن سعد رضي اللَّه عنهما قال: «**إن كنا لنفرح بيوم الجمعة، كانت لنا عجوز تأخذ أصول السِّلْقِ فتجعله في قِدْرٍ لها، فتجعل فيه حباتٍ من شعير، إذا صلينا زرناها فقرّبته إلينا، وكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك، وكنا نتغدّى، ولا نَقِيلُ إلا بعد الجمعة، واللَّه ما فيه شحمٌ ولا وَدَكٌ**». رواه البخاري في كتاب الجمعة وكتاب الأطعمة وكتاب الاستئذان.

السلق نوع من البقل، له ورق وأصله في الأرض، وهو نبت معروف. والودكُ: دَسَمُ اللحم. والحاصل أنه نوع من الطعام كانت تطبخه صحابية عجوز ابتغاء رضوان اللَّه. واسم هذه الصحابية غير مذكور في الحديث وهو مجهول في كتب الحديث.

يقول الإمام العسقلاني: «**وفي هذا الحديث جواز السلام على النسوة الأجانب واستحباب التقرب بالخير ولو بالشيء الحقير . . .**»[1].

أقول:

هذه امرأة مؤمنة كريمة تدخل البهجة والسرور على أصحاب رسول اللَّه ﷺ بما آتاها اللَّه من فضله، ولو أن امرأة فعلت شيئاً مثل هذا في عصرنا اليوم لتقول عليها المتقولون، ولاجترأ عليها المجترئون، ولتطاول عليها المتطاولون، ولأتت الفتوى من هنا وهناك وهنالك: كيف يُلقى السلام على امرأة ليست من أهله أو محارمه؟ كيف يدخلون حديقتها؟ كيف؟ وكيف؟ . . .

إن الإسلام هو الدواء النافع لقيام مجتمع طاهر، تبدأ فيه العفة من البيت، لتراعي شعائر الإسلام في كل مظاهر الحياة. وألف باء الإسلام هما القرآن والسنة، يعني أن لا نخرج برأيٍ يخالفهما. يقول محمد الغزالي: «**إن الإسلام سوّى بين الرجل والمرأة في جملة الحقوق والواجبات، وإذا كانت هناك فروق معدودة**

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي العسقلاني ٢/ ٣٤٢وانظر أيضاً كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الشنقيطي ١٠/ ١٨٥.

فاحتراماً لأصل الفطرة الإنسانية وما ينبني عليها من تفاوت الوظائف! وإلا فالأساس قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

إن هناك تقاليد وضعها الناس ولم يضعها رب الناس دحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة، واستبقت في معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى، وأبت إعمال التعاليم الإسلامية الجديدة فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال ميزان الأمة كلها مع التجهيل المتعمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها»[(١)]. ومن هذه التقاليد والمخالفات الصور التالية:

أ ـ يوجد صنف من الناس يُعلِّق مستقبل بيته على نوعٍ من الطعام يرفض شراءه فيحلف بالطلاق على ذلك! وهو في هذا لا يفقه مشروعية الطلاق فضلاً عن مشروعية الزواج!

ب ـ هناك أصوات تنادي: المرأة لا ترى أحداً ولا يراها أحدٌ، تخرج من بيتها إلى بيت زوجها أو إلى القبر، ورحم اللَّه شاعر النِّيل حيث يقول:

الأمُّ مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

ج ـ هناك نفر من الأدعياء يجادلون في حق المرأة أن تذهب إلى المسجد وتحضر الجماعات، وهذا التشدد مخالف لتعاليم الإسلام وهو تشدُّد في غير موضعه.

عن سالم بن عبد اللَّه أن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنّكم إليها**» فقال له بلال ابنه: «**واللَّه لنمنعهنَّ، فأقبل عليه عبد اللَّه بن عمر فسبّه سباً سيئاً ما سمعته سبّه بمثله قط! قال: أخبرك عن رسول اللَّه ﷺ وتقول: واللَّه لنمنعهنَّ**»[(٢)]. وفي طبقات ابن سعد: كانت عائشة أعلم الناس، يسألها الأكابر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وعن أبي سلمة رضي اللَّه عنه: ما رأيت أعلم بسنن رسول اللَّه ﷺ من عائشة ولا أحداً أفقه في رأي إن احتيج إلى رأي، ولا أعلم بآيةٍ فيما نزلت ولا فريضة من عائشة رضي اللَّه عنها.

(١) قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي ص ١٦.
(٢) رواه مسلم.

أقول: لقد شاركت المرأة في بيعة العقبة الكبرى، وشاركت في بيعة الرضوان تحت الشجرة، ولقد شاركت «**نسيبة بنت كعب الأنصارية**» في المعركة التي قتل فيها «**مسيلمة الكذاب**» وقبل ذلك شاركت في أحد وشهدت فتح مكة ويوم حنين، وها هي أم حرام بنت ملحان رضي اللَّه عنها يدعو لها رسول اللَّه ﷺ بالشهادة فتخرج مع زوجها عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه غازية في البحر لفتح قبرص فتموت هناك شهيدة وتدفن في قبرص، وكانت رفيدة رضي اللَّه عنها تداوي الجرحى، وقد جعل رسول اللَّه ﷺ سعد بن معاذ في خيمتها في مسجده ليعوده من قريب... وكانت فاطمة الزهراء رضي اللَّه عنها قد ورمت يدها من الطحن بالرحى، كما كَلَّ كتفها من حمل الماء في القربة، وها هي أسماء بنت الصديق وزوجة الزبير بن العوام رضي اللَّه عنهم تقول: «**كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله، وكنت أسوس فرسه، وأعلفه، وأحتشُّ له، وأخرز الدلو، وأسقي الماء، وأنقل النوى على رأسي من أرضٍ له على ثلثي فرسخ**». هذا العمل منهما لأنهما فهمتا أن عقد الزواج علاقة مودة ورحمة، وشركة أعباء، وصحبة حياة، ووحدة هدف وتجاوب ثقافة، لا علاقة بين جنسين ينظر إليها من ناحية الشهوة أو الاستعلاء أو خدمة منزلية فقط، ولإزالة هذه الأفكار نذكر في المقابل أن المصطفى عليه الصلاة والسلام كان يرقِّع إزاره بالأدم، ويخصف نعله[1]، ويحلب شاته، ويساعد أهل بيته في عملهنّ. فهذه من الأعمال التي نفتخر بها ونعتز.

(١) يلصق بعضه ببعض إذا انقطع.

الحديث الأربعون

دعاء واستعاذة

اللَّهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».

* يستعيذ المصطفى ﷺ في هذا الحديث من عللٍ نفسية متعددة تهبط بقيمة الإنسان ومكانته إلى مستوى متدن، ذلك أن الأمراض النفسية أدواء لا تجلب إلا الضرر.

* الداء الأول: الهم وهو ما يشغل القلب بالكآبة دون قدرة على رده. والهم يقين بعض قوى الإنسان مما يعيقه على مواجهة الحياة.

* الداء الثاني: الحزن وهو انهزام النفس أمام ألمٍ غالب، والمحزون أسير يأسه وحبيسه، وهو قعيد عن القيام بالأعمال الكبيرة.

* الداء الثالث: العجز وهو داء استحكم فينا اليوم فلا ترى إلا عملاً منقوصاً أو غير متقن، وأصبحت صور القمامات المتراكمة مألوفة لدى الغالبية من الناس، وأصبحنا ندعوا اللَّه كي ينصرنا على أعدائنا ونحن لا نفعل شيئاً!

* الداء الرابع: الكسل وهو بلادة تنشأ في نفس الفرد، ثم تنمو في المجتمع والكسل آفة أصابت المجتمعات الإسلامية فترى أمة فقيرة تعيش فوق أرض خصبة لا تفعل شيئاً إلا انتظار من يأتي ليستخرج كنوزها.

* الداء الخامس: الجبن وهو الذي يبخل بروحه فلا يدفعها للجهاد في سبيل اللَّه، ويخاف أن يجود بروحه دفاعاً عن عرضه وأمته، فكيف يذوق طعم الحياة الكريمة؟

* الداء السادس: البخل وهو أن يجعل المرء من نفسه عبداً للدينار والدرهم شعر بذلك أم لم يشعر. وهاتان الآفتان (الجبن والبخل) متلازمتان، فالضنين بماله لا يجود بروحه، والجواد بنفسه لا يبخل بماله.

الداء السابع: غلبة الدين، وهناك صورة من صور الاستدانة هي الاستدانة

مع العلم المسبق بالعجز عن الوفاء، في الحقيقة إن هذه الصورة نوع من السرقة لا نوع من الاستدانة.

الداء الثامن: قهر الرجال وهو ما ينغص حياة الشرفاء وحياءهم. وغلبة الدين مما يقهر الشرفاء، ولا يعكر صفو السفهاء.

هذا ما يسَّره اللَّه تعالى لي وأسأله سبحانه وتعالى أن ينفع به وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

فهرس المحتويات

مقدمة ٥
الحديث الأول: حسن الظن باللَّه ٧
الحديث الثاني: أكبر الكبائر ٩
الحديث الثالث: ربنا ما خلقت هذا باطلاً ١١
الحديث الرابع: مضاعفة الحسنات ١٤
الحديث الخامس: الكيّس من دان نفسه ١٦
الحديث السادس: من وصايا المصطفى ـ ﷺ ـ رقم (١) ١٨
الحديث السابع: من وصايا المصطفى ـ ﷺ ـ رقم (٢) ٢٠
الحديث الثامن: فتنة القلب ٢٢
الحديث التاسع: مفهوم العبادة ٢٤
الحديث العاشر: محبة الصحابة رضوان اللَّه عليهم ٢٥
الحديث الحادي عشر: زوجات النبي ﷺ ٢٨
الحديث الثاني عشر: قراءة القرآن الكريم ٣١
الحديث الثالث عشر: اطلبوا الخير دهركم كلَّه ٣٣
الحديث الرابع عشر: حمد اللَّه وشكره على نعمه ٣٥
الحديث الخامس عشر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٦
الحديث السادس عشر: طلب العلم فريضة ٣٩
الحديث السابع عشر: أي الإسلام أفضل؟ ٤١
الحديث الثامن عشر: إن اللَّه حرّم عليكم ٤٣
الحديث التاسع عشر: مفاتيح للخير مغاليق للشر ٤٦
الحديث العشرون: نصيحة للمجاهدين ٤٨
الحديث الحادي والعشرون: نصيحة للمتخاصمين ٥٠
الحديث الثاني والعشرون: لا تجعلوا اللَّه عرضةً لأيمانكم ٥٢
الحديث الثالث والعشرون: السماحة في البيع والشراء والاقتضاء ٥٤

الحديث الرابع والعشرون: الإحسان على كل شيء ٥٦
الحديث الخامس والعشرون: على كل مسلم صدقة ٥٨
الحديث السادس والعشرون: لا تكونوا إمَّعة ٦٠
الحديث السابع والعشرون: الحسد والبغضاء ٦٣
الحديث الثامن والعشرون: المجاهد والعالم والمتصدّق ٦٥
الحديث التاسع والعشرون: صدقة بيد سارق وزانية وغني ٦٨
الحديث الثلاثون: خصوم النبي ﷺ يوم القيامة ٧١
الحديث الحادي والثلاثون: الحذر والحيطة والأخذ بالأسباب ٧٣
الحديث الثاني والثلاثون: رجال في آخر الزمان ٧٥
الحديث الثالث والثلاثون: ما الرويبضة؟ ٧٧
الحديث الرابع والثلاثون: لَتَتَّبِعُنَّ سنن من قبلكم ٧٩
الحديث الخامس والثلاثون: المسائل كُدُوح ٨١
الحديث السادس والثلاثون: أصحاب الهمم العالية ٨٣
الحديث السابع والثلاثون: أيسر الأمرين ما لم يكن إثماً ٨٥
الحديث الثامن والثلاثون: رفقاً في مديح الناس ٨٧
الحديث التاسع والثلاثون: عجوز تبتغي رضوان اللَّه ٨٩
الحديث الأربعون: دعاء واستعاذة ٩٢